ديسمبر الماضي

رواية

سعاد عبد اللاه

الطبعة: الأولى.

الكتاب: ديسمبر الماضي.

الكاتبة: سعاد عبداللاه.

تصميم الغلاف: محمد محسن.

تدقيق لغوي: مها سيد.

إخراج فني: محمود ربيع.

رقم الإيداع: 2019/20981.

الترقيم الدولي: 978 ـ 977 ـ 6669 ـ 21 ـ 3.

9 شارع المغفرة المتفرع من شارع العشرين بجوار مدارس حسام الدين

الخاصة ـ فيصل ـ الجيزة

موبايل: 01009823984 ـ 01126026691 ـ 01061813345

جميع الحقوق محفوظة

ذهبتُ يومًا إلى أمي وأنا أبكي غاضبة من أخي لأخبرها بأمنيتي.. «أن ليته لم يكن لي أخوة»، فأجابتني بهدوء قائلة «أخوتكِ هم ظهركِ في هذه الحياة»... لم أفهم مغزى الجملة وقتها.

نسيتُ غضبي عندها وظلّت كلمة أمي في عقلي، إلى أن أصيب أخد أخوتي بمكروه ما؛ فشعرتُ بانقسامة ظهري تكاد تُميتُني، فاستدعيتُ كلمة أمي لأفهم معناها.

لذا فسأهدي أول أعمالي لهم.

كما أهديها أيضًا إلى زوجي وأولادي.

وإلى دار كاريزما، وخاصة الأستاذة «فاتن» والأستاذة «عبير»، ولجميع أعضاء أسرة كاريزما.

الفصل الأول

همَّ بالخروج من معرضه دافعًا بيده هذا الباب الزجاجي أمامه، وقف بالخارج قليلًا، يلتفت هذا العجوز يمينًا ويسارًا في قلق شديد (عم طلعت) رجلٌ نحيل، شعر رأسه خفيف، من أهل النوبة، يمتلك معرضًا لشراء وبيع التابلوهات والأنتيكات، معرضه مازال يحتفظ بطابعه القديم لم يفكر يومًا في تغيير شيءٍ؛ حتى أماكن الرفوف، الطلاء، المكتب، وهذا الباب الزجاجي المكشوف لجميع المارة بالخارج، مُعَلق عليه جرس نحاسي قديم ذو كرة مُتدلية متأرجحة، في كل مرة يخرج فيها أحدهم من الباب تضرب جوانب الجرس ليُصدِر هذا الصوت الذي لا يتوقف لحظة منذ دقائق، بسبب كثرة دخول وخروج (عم طلعت).

حتى رأى ضالته فخرج مسرعًا دافعًا الباب أمامه رافعًا يديه مشيرًا لأحدهم:

- حسن، حسن.

حتى انتبه (حسن) إلى ندائه ثم اقترب منه متعجبًا ليسأله ما الأمر؟

فبدأ (عم طلعت) في قص ما حدث عليه، استمع (حسن) إليه في اهتمامٍ شديدٍ حتى بدت على ملامحه علامات الاستياء وعيناه تهربان

في اتجاه واحد، ثم أعطى ما تحمله يداه من لوح رسم لـ (عم طلعت) وذهب مسرعًا ممتلئًا بالغضب الممزوج بالقلق، وبعد خطوات قليلة وقف أمام معرض آخر يبعد عن معرض عم طلعت خمسة عشر مترًا تقريبًا. المعرض يختلف كثيرًا عن معرض (عم طلعت)؛ واجهته تحمل الطابع الحديث، على باب المعرض من الخارج تمثال لـ (فينوس دي ميلو) وآخر من الجهة المقابلة له تمثال لـ (أرتمس) إلهة الصيد والبرية وحامية الأطفال عند الإغريق.

التمثالان يشغلان نظر المارة أمام المعرض المكتظ باللوحات الزيتية، والتابلوهات القديمة، بجانب تابلوهات السيرما بخيوط الذهب، والقماش، والتابلوهات المودرن، ولوحات تقليد لأشهر اللوحات العالمية والكثير والكثير من التحف، وهناك ركن آخر خاص بلوحات لنساء عاريات، وعلى قول صاحب المعرض (فتحي بيه): (ليها زبونها).

هذا الرجل السمين صاحب كرشٍ متدلٍ يكاد يفتك بأزرار قميصه المشجر، وجهه ممتلئ، يرتدي أكثر من خاتم في يده غير جنزير حول رقبته ومعصمه وكأنه محل صاغة متنقل.

دفع (حسن) باب المعرض بقوة فانزعج فتحي بيه لطريقة دخوله، لكنه لا يبالي باعتراضه أو ثرثرته، تقدم خطوتين ليقف بجانب (ريم) والتي كانت واقفة تحمل في يدها تابلوه من الزيت مغطى، نظرت إليه في تعجب وارتباك وعلى وجهها النحيل علامات الوهن الشديد وكأنها

لم تذق طعم النوم أو الراحة منذ وقت طويل، أثر البكاء جعل عينيها منتفختين وبعض من الكحل المندمج مع الدموع رسم لوحة لوديان على وجنتيها، شعرها المُشْعَث غير عادته، وملابسها الملطخة بالألوان وساقاها المكشوفتان والتي قد نالت قِسطًا أيضًا من تلك الألوان، وشريط شعر ممتلئ بالدماء مربوط حول معصمها.

نظر (حسن) إلى هيأتها في ذهول فشعرت ريم بالارتباك الشديد فسألته بصوتٍ مهزومٍ:

- إيه اللي جابك يا حسن؟ وعرفت أنا هنا إزاي؟

كتم (حسن) غيظه ثم أردف بغضب شديد مكتوم وهو يجز على أسنانه:

- إنتِ اللي جاية هنا بتعملي إيه؟

احتقن وجه (ريم) بالغضب ثم أردفت بضيق شديد:

- وأنتَ مالك أنا جاية هنا ليه وبعمل إيه، أنتَ ملكش أنك تدخل في حياتي ولا تصرفاتي ولا حتى تقولي أعمل إيه ومعملش إيه فهمت.

ثم نظرت إلى (فتحي بيه) لتتابع حديثها معه، بينما وقف (حسن) في ذهول من تصرفاتها الغير مفهومة، فشعر بأن هناك شيئًا مريبًا يحدث لها فإنه لأول مرة يراها هكذا، فأمسك يدها المربوطة بشريط الشعر بشدة وهو يجز على أسنانه بغضب محاولًا السيطرة على انفعالاته:

- اتفضلي معايا من هنا ودلوقتي.

تأوهت (ريم) بألم من مسكة يده القوية لها، فترك حسن يدها على الفور في ذهول عندما وجدها تتألم وقد تفاجأ بهذا الدم الذي يملأ شريط شعرها ثم رفع نظره ليُحَدِّق في عينيها بقلق، بعد أن خبأت يدها خلف ظهرها ثم اقتربت منه هامسة برجاء:

- من فضلك أمشي دلوقتي يا حسن ويبقى نتكلم بعدين.
- مش همشي من هنا إلا وإنتِ معايا ولازم أفهم فيه إيه، وإيه اللي حصل. اتفضلي معايا من هنا يا ريم ودلوقتي، لو سمحتِ.

صاحب المعرض مازال واقفًا يشاهد هذا الحديث الذي يدور بينهما ثم مد يده ليأخذ التابلوه الذي تحمله (ريم) ليضعه على المكتب أمامه.

- خلاص يا آنسة ريم مش هنختلف على السعر.

تصاحب كلماته ابتسامة سمجة منه، ثم فتح درج المكتب وأخرج بعض المال وبدأ في عدهم بحرص وعند الانتهاء اقترب من ريم وبصوت خافت قال لها:

- لو رسمتي تابلوهات تاني من دي هَتيِهالي وهنتفق على السعر.

ليعيد نفس الابتسامة السمجة ثم وضع المبلغ الذي أخرجه في يدها فتأخذه ريم لتدسه في حقيبتها، فأمسك حسن يدها قبل أن تحتفظ بهذا المبلغ ليأخذه منها ويضعه على مكتب فتحي بيه بقوة متحدثًا بغضب:

- مش هتبيع.

فتحي بيه:

- بس هي خلاص باعت وقبضت فلوسه.

حسن يقترب منه مكشرًا عن أنيابه بنبرة تهديد:

- مش هتبيع.. سمعت.. ولا اسمعهالك تاني بطريقتي.

فتعترض ريم على كلامه وتدخله في أمورها الخاصة ثم أردفت مقاطعة إياه بحدة:

- بس أنا فعلًا بعت يا حسن ومش عايزه التابلوه ده تاني.

ابتسم إليها بخفة وهو يحرك رأسه برفض حديثها، فلمعت عيناها ثم غمغمت بنبرة حزينة:

- التابلوه ده رخيص قوي يا حسن وأنا مش عايزاه قدامي تاني.

- عمره ما كان رخيص، أنتِ بس اللي شايفاه كده.

ترقرقت الدموع في عينيها، ثم هَرْوَلت مسرعة خارج المعرض،

نظر (حسن) إلى (فتحي بيه) الذي شعر بعدم الاطمئنان، وخوفه من رد فعله إذا رفض أن يعطيه التابلوه، فأعطاه له بكل هدوء وحرص ثم مد يده ليأخذ أمواله ليدسها مرة أخرى في الدرج بعد أن قام بعدها.

في الخارج:

حاول (حسن) اللحاق بـ (ريم) ليقف أمامها وهو يَلْهَث من السرعة، ثم حاول أن يأخذ نفَسه بعد أن أوقفها فأردف بحنان قائلًا:

- مش هسألك مالك، بس وقت ما تحبي تتكلمي أنا موجود وهسمعك .

تنهدت (ريم) وهي تكفكف دموعها بقهر لتسأله في فضول:

- أنت بتعمل ليه معايا كده؟

فرك (حسن) رأسه في عفوية وإحراج ثم تنهد بابتسامة صغيرة:

- مش عارف، بس أنا شايفك حد رقيق قوي وحساس قوي، ومحتاجة حد يكون جنبك علشان ياخد باله منك وإنتِ في أصعب حالاتك.

نظرت (ريم) إلى الأرض خجلًا وابتسمت بخفة، ثم نظر إليها حسن ليردف بجدية مصطنعة:

- طب ممكن بأه يا أستاذة (ريم) نروح نطمن على الجرح اللي في إيدك ده واللي معرفش هو أصلًا حكايته إيه وكان ليه؟

أومأت (ريم) بالموافقة ثم أشار لها أن تتقدم في السير بجانبه ليمشي

حاملًا بيده التابلوه الخاص بها.

خرج (عم طلعت) من المعرض ما إن رآها حتى ارتسمت ابتسامة طفولية عفوية كطفل صغير فذهب إليهما مسرعًا متسائلًا في اهتمام:

- إنتِ كويسة يا بنتي؟.

نظرت (ريم) إليه بضيق واتهام:

- أنتَ اللي قولت لـ (حسن) مش كده؟

- أيوه يا سِتي هو اللي قال لي، كان قلقان عليكي لما عرضتي عليه يشتري التابلوه وهو رفض يشتريه وعرض عليكي فلوس وإنتِ رفضتي..

تنظر (ريم) إلى (عم طلعت) في غضب:

- كل ده قولته يا عم طلعت، أنا مش صغيرة ومش محتاجة فلوس.

ثم تابعت مبررة بخفوت:

- بس كل الحكاية إن التابلوه ده ميلزمنيش ومش عايزاه تاني. -

اقترب منها (عم طلعت) ثم ربَّت على كتفها بحنان:

- إنتِ زي بنتي من وأنا من زمان بشتري منك تابلوهات بس يا بنتي أنا خايف عليكي، فملقتش غير الباشمهندس حسن أستنجد بيه، وبصراحة مش عايزك تتعاملي مع فتحي زفت ده تاني.

حاول (حسن) أن ينهي هذا النقاش بينهما قائلًا:

- خلاص يا عم طلعت حصل خير، كتر خيرك يا راجل يا طيب، بس نستأذن حضرتك تخلي عندك التابلوه ده مع الحاجات بتاعتي اللي عندك، عندي مشوار وبعدها أوصل ريم وأرجع أخدهم.
- حاضر يا ابني خلي بالك منها، ربنا يصلح حالكم وحال اللي زيكم.

ثم دخل معرضه ليريح جرسه النحاسي قليلًا.

*****

الفصل الثاني

في المستشفى:

غرفة الاستقبال لحالات الطوارئ، جلست (ريم) على سرير الكشف ملامحها باردة إلى أقصي حد وكأن الزمن توقف عندها عقلها شارد ونظرها معلق في الفراغ، بينما (حسن) وقف بجانبها مستندًا بظهره على الحائط القريب من سريرها يتابع باهتمام ملامحها وشرودها وعدم تفوهها بأي كلمة منذ دخولها المستشفى، وبداخل عقله تساؤلات كثيرة تنتظر منها الإجابة والتوضيح لفعلتها تلك، لكن نظراته وتصرفاته وخوفه يفضحان ما بقلبه لها أو ما يحاول أن يخفيه عنها، (حسن) تربطه صداقة بـ (ريم) منذ شهرين تقريبًا، صديق فقط أو هذا ما تريده (ريم) أن يبقى بعيدًا تمامًا عن هذا الحيز الذي رسمته له وما يُسمى بـ (عالمها الخاص).

(حسن) طويل القامة، أسمر اللون، له ذقن خفيفة، صاحب أكتاف عريضة، وإن لم تكن طريقة لبسه الغير مهندمة لظننت أنه عارض أزياء، مغمور في الرسم طوال اليوم، متخرج من كلية الفنون الجميلة، تكاسل في البحث عن عمل مناسب له فاكتفى ببيع لوحاته للمعارض، جملته المأثورة دائمًا والتي حفظهاعن ظهر قلب بعد السؤال المعتاد له:

- (هو الرسم بيأكّل عيش)؟

وكان الرد دائمًا لمن يستهتر بعمله كرسام:

- يدوب على قَدّ سجايري ومواصلاتي والألوان ومستلزمات الرسم وخلافه هاكون عايز إيه أكتر من كده.

تنحنح الطبيب قبل جلوسه على المقعد أمام (ريم) ثم بدأ في نزع شريط الشعر الملفوف حول معصمها ببطء وبنظرة خاطفة لها قائلًا:

- إممم محاولة انتحار؟

ثم نادى على الممرضة لتساعده في تطهير وعلاج الجُرْح، بينما (ريم) كالصخرة لا تبالي بما يفعله الطبيب، ألم داخل قلبها يعادل أضعاف الألم الذي بيدها، عقلها غائب وفكرها شارد في مكان آخر، وعيناها معلقتان في اتجاه واحد تتذكر ما حدث.

قبل ساعات:

دخلت (ريم) غرفتها في حالة انهيار شديد بكاء حد الموت، وكأن ألم العالم تجمع ليعصر قلبها بقبضة من حديد بلا رحمة أو شفقة، وقفت في منتصف غرفتها الممتلئة بالتابلوهات والألوان وفُرش الرسم، تنظر حولها وكأنها تحاول البحث عن شيء مفقود، كمجنونة غاب عقلها، هناك صور لشخص واحد لكنها متكررة في أكثر من لوحة بشكل مختلف؛ ذو لحية سوداء، خمري البشرة، يرتدي نظارة طبية، وتابلوه واحد لامرأة

تشبه ريم قليلًا لا يغطى جسدها سوى وشاح حريري أخضر اللون يكاد يظهر مفاتنها، ووسط أدوات الرسم (الكَتر) وقعت عيناها عليه فأخذته بغضب لتبدأ في تمزيق اللوحات الخاصة بهذا الرجل ذو اللحية السوداء.

كانت بلا وعي، بكاء يتلوه صرخات مكتومة، أسقطت التابلوهات أرضًا بعد أن فرغت من تمزيقها ثم جلست جانبها على الأرض وقد لطخت الألوان فستانها وساقيها المكشوفتين، تعالى صوت بكائها أكثر وازداد حدة وكأنها تنتحب لتلك الصور الممزقة أمامها، نظرت مجددًا إلى (الكتر) الذي بيدها وبعينين تائهتين نظرت إلى معصمها لتقوم بتمزيق شريانها بعنف، ثم ألقت بـ (الكَتر) جانبًا لتنظر إلى هذا الدم المتدفق من جُرحها بقوة.

بدأت عيناها تهربان من الغرفة مستسلمة للموت حتى وقعت عيناها على تابلوه المرأة صاحبة الوشاح الأخضر، وكأن التابلوه أعاد لها اتزانها قليلًا ففكت شريط شعرها بيدها الأخرى لتربط به معصمها لتوقف نزيف جُرحها، فحاولت النهوض مستندة على مكتبها الممتلئ بالكتب والأوراق وبعض من الأقلام التي أسقطتها أرضًا وهي تحاول الاستناد عليه، فأخذت التابلوه لتلف حوله ورقة كبيرة، ثم فتحت باب شقتها لتغلقه خلفها بقوة.

هرولت مسرعة إلى معرض (عم طلعت) دفعت الباب بقوة أمامها ثم وضعت التابلوه فوق المكتب بقوة قائلة:

- عايزه أبيع التابلوه ده.

نظر إليها وكعادة هذا الرجل، الابتسامة لا تغيب عن وجهه، فقد اعتاد شراء اللوحات الفنية منها، وما إن وقعت عيناه على التابلوه تغيرت ملامحه كثيرًا ثم لف التابلوه كما كان وأردف باستياء شديد:

- التابلوه جميل فعلًا بس أنا مع الأسف الصور اللي زي دي مش بشتغل فيها.

فأخذت التابلوه من أمامه بصمت دون أن تتفوه بأي كلمة أو رد فعل منها، تعجب (عم طلعت) لتلك الحالة التي هي عليها، وهيأتها الغيرمهندمة كغير عادتها والتي تظهر بها دائمًا، ثم أوقفها بسؤاله:

- طب إنتِ محتاجه فلوس؟ متتكسفيش إنتِ زي بنتي.

أجابت بهز رأسها فقط بالرفض.

بدأ القلق يسيطرعلى (عم طلعت) أكثر سألها بحنان وخفوت:

- إنتِ كويسة يا بنتي؟

نظرت (ريم) إليه وبابتسامة خاطفة مصطنعة هزت رأسها بـ (نعم) ثم تابعت طريقها إلى الخارج، فخرج (عم طلعت) على أثرها ليتتبع سيرها حتى وصلت معرض (فتحي بيه).

حسن بقلق قائلًا:

- ريم.. ريم.. إنتِ كويسة؟

صوت (حسن) أعادها مرة أخرى من شرود فكرها.

الدكتور بابتسامة ساخرة وهو يضمد الجُرح:

- خلاص يا ستي المرة الجايه لما تفكري تنتحري يبقى إديني خبر قبلها وأقولك على طريقة تنتحري بيها أسهل وأسرع من كده.

نظرت (ريم) مستكفية بالرد بابتسامة صغيرة كمجاملة.

- شكرًا يا دكتور.

قالها (حسن) وهو يحاول مساعدة (ريم) في النهوض من سرير الكشف. مشت (ريم) بخُطى ثقيلة وكأن رُدْهة المستشفى رافضة أن تنتهي، مازلت صامتة تحاول أن تستوعب ما حدث، تنظر إلى (حسن) وهى تتأمل ملامحه بشرود ووهن «فهناك الكثيرمن الوجع لا نستطيع أن نُضَمِّد جراحه، نتركه ينزف رغمًا عنا، نتمنى التحدث عنه حتى نتخلص ولو بالقليل مما بداخلنا، لكن بعض الكلمات من الصعب التحدث عنها أو حتى ذكرها بيننا وبين أنفسنا، نطويها دون نسيان لأن مجرد ذكرها شيء أكثر وجعًا».

- ريم إنتِ كويسة؟

تتنهد (ريم) بعمق ثم أردفت بخفوت:

- أنا كويسة يا حسن، كويسه قوي.

ثم تابعت مرة أخرى طريقها في الخروج من رُدْهة المستشفى. وقف (حسن) قليلًا بعد إجابة (ريم) على سؤاله، فهو يعلم بأنها ليست بخير، لا يعلم بعد هذا السبب القوي الذي دفعها للانتحار لكن هناك ما هو أكثر من تحملها حتى تفعل بنفسها ذلك.

انتبهت (ريم) لتوقف (حسن) ثم التفتت خلفها متعجبة لتسأله:

- وقفت ليه يا حسن؟

لم يُجب بل تابع بصمت مرة أخرى طريقه بجانبها إلى خارج المستشفى،

وقفت (ريم) عند وصولها إلى الخارج، ثم أغمضت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل وبنبرة حزينة:

- بكره ريحة المستشفيات، بحس أنها بتخنقني.

- ليه كده؟

- بتفكرني بـ بابا الله يرحمه.

قالتها وهي مازلت مغمضة العينين لتتذكر، لقطة واحدة تحاول نسيانها لكنها تتكرر دائمًا أمامها رغمًا عنها.

****

(كان والدها في العناية المركزة، وكانت جالسة مع والدتها على كرسي الانتظار خارج الغرفة في رُدْهة طويلة، خرجت الممرضة مسرعةً وبعد ثوانٍ خرجت ممرضة أخرى، مما جعل والدتها تزداد قلقًا فحاولت الدخول بعد تجاهل الممرضات لها وبعد سؤالها المتكرر لهن وإلحاحها الشديد:-

- مِن فضلكم حد يطمني، عماد كويس؟ لم تُجب عليها واحدة منهن.

فحاولت الدخول إلى الغرفة فمنعتها إحدى الممرضات لكن ريم رأت ما يحدث في الداخل من زاوية صغيرة للباب أثناء محاولة والدتها في اقتحام الغرفة؛ كان الطبيب يحاول انعاش قلب والدها لكن (ريم) ظلت عيناها تحدقان في جهاز القلب الذي توقف عن الإشارة.

وقف الطبيب بخيبة أمل واستسلام ليخبر الممرضة بأن لا فائدة من محاولته في إنقاذه)

****

- طب تحبي نقعد في أي حتة نتكلم شوية؟

قالها حسن وهو ينظر إليها محاولًا إخراجها من تلك الحالة والذكريات المؤلمة،

لكنها مازالت مغمضة العين في شرود لتفتح عينيها ببطء هامسةً له:

- محتاجة أنام وبس.

فنظرت إلى حسن معتذرةً:

- أنا آسفة يا حسن، بس حتى الكلام حاسه أني مش هقدر أعمله، حاسة إني مهدودة ومحتاجة أروح أنام.

حسن بابتسامة:

- خلاص يا سيدتي إنتِ اسكتي وسبيني أنا أتكلم.

ابتسمت ثم تركته واقفًا ومشت ليلحق بها وبجدية سألها:

- بتضحكي ليه؟ والله ما بهزر.

فيقطع طريقها ليقف أمامها قائلًا بخفوت وهو يتأمل ملامحها بحنان:

- أصلي بصراحة مينفعش أسيبك تروحي كده، لازم أطمن أنك بقيتي كويسه...

فيصمت قليلًا ليتابع مرة أخرى كلامه بعد أن حضرت فكرة ما لعقله:

- طب إيه رأيك تاكلي أيس كريم، وأنا يا ستي اللي هعزمك.

وقفت (ريم) مرة أخرى وبابتسامة عريضة على ثغرها:

- أنا كويسة، ومش عايزة أيس كريم يا حسن.

حسن بخيبة أمل واستسلام:

- خلاص يا ستى أوصلك.

- دي بقى ممكن.

المستشفى قريبة بعض الشيء من بيت (ريم) فطلبت أن تذهب إلي بيتها سيرًا على الأقدام، وعلى الرغم من تعبها وإرهاقها إلا أنها قد تكون محاولة منها لنسيان ما حدث هذا اليوم. فروى لها (حسن) عن أشياء كثيرة ومواقف مضحكة له في الجامعة والكثير من الأحداث الكوميدية التي مر بها في حياته، كانت معه بنصف عقل عيناها تتأملان ملامحه وحركة شفتيه فقط، تبتسم مجاملة لكن كل شيء كان يمر أمامها ببطء إلى أن وصلت البناية التي تقطن فيها ثم توقفت لينظر إليها (حسن) بابتسامة عريضة وقال مداعبًا إياها:

- تحبي أطلع أوصلك لحد بابا شقتك؟

ابتسمت (ريم) ابتسامة واسعة وهي تهز رأسها بالرفض ثم دخلت البناية إلا أنها عادت مرة أخرى إلى (حسن) الذى لم يبرح مكانه بعد وبابتسامة صغيرة قائلة له:

- نسيت أقولك ميرسي.

حسن بغرور وتكبر مصطنع:

- على إيه؟

- على اللي أنتَ عملته معايا.

فَحَكَّ (حسن) رأسه مرة أخرى في خجل ثم وضع كلتا يديه في جيبه وهو يطأطئ رأسه كي يتلاشى النظر إلى عينيها، فأردف ضاحكًا:

- طب ماتيجي أعزمك على أيس كريم.

قهقهت (ريم) بلطف ثم تركته ودخلت البناية مرة أخرى دون أن تتفوه بكلمة واحدة لكن أوقفها نداؤه:

- ريم، هو أنا ممكن أطلب منك طلب؟

أومأت (ريم) رأسها بالإيجاب:

- ممكن تحافظي على التابلوه اللي رسمتيه كويس علشان غالي قوي ومينفعش حد يشتريه علشان هو مش للبيع. فهماني؟

تتنهد (ريم) بعمق ثم ابتسمت ابتسامة مصطنعة ليتابع (حسن) كلامه قائلًا:

- وأوعديني إنك متعمليش في نفسك كده تاني، مفيش حاجة في الدنيا تستاهل أنك تئذي روحك علشانها.

اكتفت بابتسامة واهية على ثغرها فقط وقالت:

- هبقى أكلمك أطمن عليكي.

اكتفت (ريم) بإيماءة بسيطة بالإيجاب ثم تركته ودخلت البناية قاصدة المصعد الكهربائي (الأسانسير) وقفت أمام باب المصعد بعد أن ضغطت على زر الاستدعاء وهى تنظر إلى (حسن) قبْل أن تدلف إلى المصعد وتغلقه لتضغط على زر الصعود إلى الدور الرابع.

*****

الفصل الثالث

تفتح (ريم) باب شقتها لتدلف بهدوء ثم تضع سلسلة المفاتيح على أقرب طاولة لها، شقة واسعة، أثاث كلاسيكي، لم يتغير فيها شيء بعد موت والدها سوى ركنٍ خاصٍ بها جددته بنفسها، فكان عبارة عن ستارة كشمير تغطي شباك كبيرمن الزجاج يأخذ مساحة واسعة بطول الحائط؛ لتشاهد منه المطر في الشتاء ولحظة الشروق والغروب للشمس وبعض المارة أحيانًا وهي جالسة على (الشيزلونج) الكشمير المقارب للشرفة، بجوارها (الفنوغراف) الحديث منه وبجانبه الكثير من الإسطونات القديمة لـ أم كلثوم، ليلى مراد، أسمهان، وفريد والكثير من الإسطونات الأجنبية لـ(فرانك سيناترا) و(جيمس براون) وغيرها من الإسطونات القديمة النادرة، وعلى الجانب الآخر هناك منضدة صغيرة تحمل هاتفًا أيضًا كشمير اللون وبجواره نوتة صغيرة وقلم، وركن خاص بمكتبة صغيرة بها الكثير من الكتب معظمها كان لوالدها وباقي الكتب قامت بشرائها، لكن في كل مرة تتحمس فيها لشراء كتاب جديد لا تقرأ منه سوى بعض صفحات ثم يذهب ذلك الحماس لتتركه بجوار باقي الكتب إلى أن تأتي بكتاب آخر جديد، باقي الشقة لم تحاول أو تفكر يومًا في تَغْيير أي شيء، تعيش بمفردها بعد أن تزوجت والدتها بـ

(عمو رؤوف) وعلى الرغم من إصراره بعد الزواج من والدتها أن تعيش (ريم) معهما في شقته الواسعة ذات الطابقين إلا أنها فضلت العيش بمفردها، يمتلك (عمو رؤوف) معرضًا للسيارات، حاول أكثر من مرة إهداء (ريم) إحدى السيارات لكنها كانت ترفض، عاشت معهما سنة واحدة وبرغم أنه كان يعاملها معاملة جيدة محاولًا كسب ثقتها وحبها له كوالد، لكنها برغم احترامها له أصرت على أن تعود إلى شقة والدها لتعيش فيها بمفردها.

حاولت والدتها وزوجها (عم رؤوف) أن يجعلاها تُغَيِّر رأيها لكن كما تقول والدتها دائمًا:

- (مخك ناشف زي باباكي).

لكنها وجدت راحتها في وحدتها والعيش بمفردها، عشقها لوالدها كان يجعلها تتألم في كل مرة ترى فيها (عمو رؤوف) بجانب والدتها، على الرغم من معرفته ذلك إلا أنه كان لا يحاول أن يتخطى هذا السلك الشائك، كان يحترم قرارتها ورأيها كثيرًا.

دخلت (ريم) غرفتها رمت حقيبتها جانبًا وخلعت حذاءها، ارتمت بجسدها على سريرها ثم احتضنت غطاءها أغمضت عينيها ركنت كل ما حدث بجوارها دون أي تفكير غابت؛ فالنوم هو دواؤها الوحيد الآن،

نامت بفستانها الملطخ بالألوان، نامت لتبحث عن الراحة ولو لقليل من الوقت رغم علمها بأنه علاج مؤقت لمرض سوف يدوم طويلًا لا علاج، لا شفاء، كسرة قلب، اشتياق، حنين، نامت (ريم) من فَرْط تعب جسدي ونفسي.

بعد ساعتين جسد (ريم) يتصبب عرقًا، وهمهمة غير مفهومة على شفتيها، أناملها ترتعش، وجسدها ينتفض؛ هذا الحُلم مجددًا ترى هذا الشاب ذا اللحية السوداء يمضي نحو امرأة أخرى بينما (ريم) تقف عاجزة عن الحركة، تنادي عليه لكن دون جدوى ظل ماضيًا نحو تلك المرأة البعيدة ولا يبالي بندائها فتنهض من نومها بفزع لتنادي باسْمه:

- منير.

كانت ترتجف من رأسها حتى أَخْمَص قدميها ثم شهقت شهقات متتالية، فنظرت إلى معصمها وهذا الجُرح الذي خَلَّفه ما حدث لتغمس وجهها بوسادتها فبكت حتى صدح صوت بكائها أرجاء غرفتها، فتتذكر عُلبة المنوم الموجودة في درج (الكمود) بجوار سريرها فمدت يدها المرتعشة لتتناول قرصًا وكوبًا من الماء الذي سكبته دون قصد على جسدها بسبب رعشة يدها، فتعود لتغمض عينيها بعد أن أخذت نَفَسًا عميقًا وزفرته بصعوبة لتدخل في غفوة مرة أخرى.

في تلك اللحظة كان (حسن) في غرفته متسطحًا على سريره يحاول أن ينام يتقلب على اليمين قليلًا ثم اليسار حتى استسلم إلى يقظته، ظل يُحَدِّق في سقف غرفته قليلًا ثم زفر بضيق شديد، فألقى بوسادته بعيدًا ثم نهض جالسًا على حافة سريره مازال قلقه على (ريم) يقتله، ثم سحب الهاتف من على (الكمود) المجاور لسريره مترددًا في الاتصال بها خِشْية أن تكون نائمة ويوقظها؛ فالوقت متأخر وبعد اتخاذه قرار عدم الاتصال ألقى بالهاتف مكانه على (الكمود) ثم تأفف بضجر، فَهَمَّ بالنهوض متجهًا إلى تابلوه ريم المغطى محاولًا نزع الورقة عنه بهدوء وتأمل ناظرًا إليه بابتسامة كأنه يري (ريم) أمام عينيه، بجسدها الممشوق وأنوثتها الطاغية وقد عجز الوشاح الأخضر عن إخفاء معالم جسدها، وبلا وعي ولا تردد مد يده ليلمس جسدها المرسوم بأنامله المرتعشة، تَفْضة داخل نفسه تُحرك رجولته جبينه يتصبب العرق منه لكنه لا يبالي بتجفيفه، حتى كاد أن ينهمر على جسده دون إدراك منه لما يحدث، فكان فقط جسدًا تحركة غريزته، فتراجع إلى الوراء كأنه أدرك ما يحدث، أغمض عينيه ببطء محاولًا أَخْذ نفس عميق ثم زفره بسرعة، فَهَمَّ بأخذ تابلوه جديد ليضعه على الإستاند أمامه وقد بدأ في رسم رتوش لملامح امرأة، وبعد دقائق اكتملت ملامحها قليلًا ورتوش بسيطة ليظهر وجه (ريم)، وقف بعيدًا عن التابلوه بخطوتين حاملًا بيده بالتة الألوان والفرشاة، فابتسم كأنه يراها أمام عينيه متذكرًا ذلك اليوم الذي التقى بها لأول مرة عندما حضر الأَتَّليه أول يوم وقد رآها منهمكة في تابلوه مرسوم عليه طفل

صغير يمسك بالونة في إحدى يديه وينظر إليها وهى تحلق عاليًا لكن ملامحه تبدو حزينة، عندها ظل (حسن) واقفًا خلفها يترقبها بصمت دون كلام، وما إن انتهت (ريم) من اللوحة التفتت لتجده يتابعها في هدوء ثم نظرت إليه بتعجب لتسأله:

- فيه حاجة؟!

مازال (حسن) ينظر إلى رسمة الطفل دون الالتفات إليها وبنبرة جادة رزينة:

- برافو عليكي.

لم تُعَقِّب على كلامه بل انهمكت في تجميع العُلب الفارغة والألوان دون النظر إليه كأنه غير موجود على الإطلاق، ثم مضت دون النظر إليه مرة أخرى، منذ ذلك الوقت انشغل (حسن) بالتفكير فيها برغم أنه لم يحاول يومًا أن يتحدث معها عن حقيقة مشاعره لها، إلا أنه يكفيه وجوده بجانبها لكنها على علم بأنه مغرم بها منذ الوَهْلة الأولى، ملامح التابلوه بدأت في الظهور وابتسامة ارتسمت على فمه لم تفارقه منذ أن بدأ الرسم فى التابلوه، ظل طوال الليل يرسم لكن مازال قلقه على (ريم) يراوده كل دقيقة، لكن الوقت مازال متأخرًا للاتصال، فاكتفى أن ينهمك في اللوحة حتى الصباح.

*****

الفصل الرابع

في منزل ريم:

مرت ساعات ربما كان يومًا كاملًا رن هاتفها وبعد عدة مرات من الاتصال المتواصل تستيقظ ريم من نومها ومازالت عيناها مثقلتين ثم أجابت على الاتصال أخيرًا وبصوت ناعس:

- ألو، أيوه يا ماما، لا نايمة، أه كويسة مفيش حاجة، يا ماما مفيش حاجة صدقيني، ماشي، سلام يا ماما.

لتعود إلى النوم مرة أخرى واضعة وسادتها فوق رأسها، فيرن هاتفها مرة أخرى، لكن تلك المرة ردت سريعًا:

- ألو، صباح الخير، إزيك يا حسن.
- طمنيني عليكي عاملة إيه دلوقتي، ونمتي كويس؟
- الحمد لله بس حاسه أني مشبعتش نوم وعايزة أرجع أنام تاني.
- لا حاولي تقومي وتاكلي حاجة علشان تاخدي علاجك.
- لا ماليش نِفْس.... حاضر حاضر هحاول أقوم آكل حاجة.

- طيب إقفلي وروحي افطري ولما تخلصي فطار أرجعي ربي عليا طمنيني.

- حاضر.

فتصمت لبرُهة قبل أن تتابع:

- حسن، ميرسي بجد ليك، يمكن من غيرك مش عارفة كنت ممكن أعمل إيه؟

- متعمليش حاجة غير إنك تاخدي بالك من نفسك قوي، وهقولها لك تاني مفيش حاجة في الدنيا تستاهل إنك تئذي روحك علشانها.

ريم بابتسامة حزينة:

- ياريت كل الناس زيك.

قهقه (حسن) بسخرية قائلًا:

- يا نهار أبيض كانت الدنيا خربت، خلاص بقى أسيبك ترتاحي ومتنسيش أول ما تاكلي تكلميني علطول، ومتنسيش العلاج.

تنهي (ريم) مكالمتها بابتسامة لكن ينقصها الحياة، شيء غير مكتمل الملامح تحاول أن تنهض من سريرها مستندة على أي شيء يقابلها فمازال الوهن يغلب عليها، تدخل لتأخذ حمامًا دافئًا وتخرج مرتدية روبًا تاركة شعرها المبلل القصيرعلى كتفيها دون تجفيف فتدخل المطبخ لتبدأ في إعداد قهوتها الصباحية كعادتها، ثم جلست على طاولة تتوسط

مطبخها فوقها (سبرتاية) نحاس وكل ما يلزم لإعداد فنجان من القهوة وما إن بدأت في إعدادها بوضع السكر فوق البُن حتى توقفت مبتسمةً ابتسامة مليئة بالألم، وعند الانتهاء من تقليب القهوة وضعتها فوق السبرتاية لتجلس تتأمل فنجانها الفارغ أمامها ثم غمغمت بابتسامة حزينة، وصوت يتردد بعقلها:

- أنا بشربها زيادة.
- وأنا مش بشربها إلا سادة.
- مش عارفة إزاي بتقدر تشربها سادة؟
- أصلي القهوة مش بتتشرب إلا كده.
- استحالة أقدر أشربها سادة.
- يبقى مش بتعرفي تشربي قهوة.

تفور القهوة فتنتفض (ريم) مستيقظة من شرودها فتصبها (من غير وش) في فنجانها لتأخذه وتتجه إلى ركنها الخاص لتجلس على (الشيزلونج) المقارب لشرفتها، تنظر إلى الشارع أمامها وحركة المارة من خلف الزجاج، تحاول أن تشغل عقلها بكل ما يدور خلف الشرفة، لتبدأ في ارتشاف قهوتها على مهل.

منزل حسن:

حسن يمسك بيده كوب من الشاي باللبن وعيناه معلقتان على صورة ريم التي لم ينته منها بعد، حاول أن يجعلها تشاركه تفاصيل يومه حتى أنه بدأ يحدثها عن أمور كثيرة، فيمسك هاتفه ليعاود الاتصال بـ (ريم) مرة أخرى للاطمئنان عليها:

- ألو، لا صوتك أحسن، حبيت بس أطمن عليكي، خلاص ريحي كام يوم من الأتِّليه.. طب أكلتي.. تمام، طب مش عايزة حاجة؟

- ميرسي يا حسن بجد مش عايزة حاجة.. خلاص ماشي.. سلام.

تعود (ريم) مرة أخرى إلى الجلوس على (الشيزلونج) لتريح جسدها تلك المرة فتتحسس بأناملها جُرحها، فتأخذ نفسًا عميقًا لتزفرة على مهل فتغمض عينيها محاولة البحث عن السكون والراحة ولو لبعض الوقت.

*****

الفصل الخامس

٢ ديسمبر:

قبل محاولة انتحار (ريم) بستة أشهر وفي معرض مخصص لبيع الكتب والأسطونات القديمة وقفت (ريم) تتفقد ركن الأسطونات بِنَهَم شديد وكأنها تبحث عن شيء معين إلى أن وجدت ضالتها وهي أسطوانة لـ (فرانك سيناترا)، فأخذتها ووضعتها جانبًا على رف قريب منها لتعود مرة أخرى إلى ركن الأسطونات بعد أن تذكرت شيئًا ترغب في البحث عنه تاركة الأسطوانة على أن تعود إليها مرة أخرى، لكن يأتي (منير) وهو شاب في الثلاثين من عمره مطرب، وعازف جيتار، ومؤسس إحدى الفرق الموسيقية تسمى (أنا كويس)، وفي تلك اللحظة كان يتفقد ركن الأسطونات هو الآخر وكأنه أيضًا يبحث عن شيء معين وإذا به يجد أسطوانة (فرانك سيناترا) الخاصة بـ (ريم) والتي تركتها لثوانٍ لتعود ثانية إليها، لكنها مازالت منشغلة في باقي الأسطونات تتفقدها باهتمام وعندما رجعت لأسطوناتها لم تجدها حتى كادت أن تجن، لتلتفت حولها في ذهول فلا تجد سوى (منير) الذي كان يحمل الأسطوانة بيده بعد أن قام للتو بشرائها، وما إن رأته حتى ركضت إليه مسرعة ممتلئة بالغضب لتوقفه بسؤالها:

- من فضلك، حضرتك اللي أخدت الأسطونة اللي كانت هناك على الرف؟

منير بنظرة جانبية ونبرة باردة:

- آسف مش فاهم حضرتك تقصدي إيه؟

ريم باقتضاب:

- أسطوانة فرانك سيناترا اللي كانت موجودة على الرف.

منير يتابع خروجه من المعرض دون التوقف أو الالتفات إليها ثم أردف ببرود شديد:

- آسف بس المفروض أني اشترتها خلاص.

ريم تلاحقه:

- أيوه بس أنا اللي المفروض لقيتها قبل ما حضرتك تلاقيها وركنتها على الرف دقيقة جيت حضرتك وأخدتها على الجاهز.

منير بتجاهل شديد فمازال يتابع خروجه قاصدًا سيارته بالخارج لم يلتفت مطلقًا إليها بل كانت تكفيه نظراته الجانبية لها وبابتسامة صغيرة متكلفة:

- والله مش مشكلتي حضرتك تقدري تدوري على أسطوانة تاني ليه أو تحمليها من على النت.

ريم بتهكم شديد:

- وأحملها ليه وأنا اسطوانتي في إيد حضرتك.

التفت إليها في برود:

- مين دلوقتي اللي دفع تمنها.. أنا.. يبقى الأسطوانة من حقي، عن إذنك بقى علشان أنا ورايا ميعاد وحضرتك معطلاني.

وقفت (ريم) تتأفف في غيظ راغبة في التنفيس عن غضبها في وجهه ثم أردفت مهاجمة له في حدة:

- على فكرة أسلوبك مش أسلوب إنسان محترم ولا أسلوب حضاري وأنت فعلًا حد مستفز جدًا وغبي.

استقل (منير) سيارته دون أن يُعِيرها أي اهتمام حتى تحركت السيارة فاكتفى بإخراج يده وراح يلوح لها مودعًا مما أثار غضبها أكثر.

فوقفت (ريم) بغيظ مُقَطِّبة حاجبيها تخبط قدميها على الأرض لتغمغم في غضب بعد أن رفعت يدها إلى السماء داعية عليه:

- يارب تموت وماتتهنى بيها، وتنكسر قبل ما توصل بيتك.

تصمت لثوانٍ ثم تتابع بعد أن ارتفعت نبرة صوتها لتزداد حدة:

- لا تتكسر على دماغك بإذن الله.

ثم تعود لداخل المعرض مرة أخرى لتسأل (الكاشير) في رجاء:

- لو سمحت في أسطونات تانية جاية قريب لـ (فرانك سيناترا)

- لا والله حاليًا مش موجود غير اللي خرجت من شوية بس هنحاول نوفرها في أقرب وقت ممكن.

ريم تتمتم بغيظ وهي تجزعلى أسنانها:

- يارب تموت.

ثم خرجت من المعرض متجهة إلى الأتّليه.

دخلت (ريم) الأتّليه في صمت وبدأت في تجهيز ألوانها ولوحة فارغة أمامها وضعتها على الإستاند في عصبية شديدة، حتى لاحظت صديقتها (زينب) المقربة لها منذ أكثر من سنتين طريقة دخولها الأتّليه الغير معتادة فكانت تُلقى تحية الصباح دائمًا على كل من يقابلها بابتسامة فتخلق جو من المرح للمكان كانت تلقي التحية على الجميع حتى (عم حمدي) عامل البوفيه، لكن اليوم دخلت في صمت وبعض التمتمة الغير مفهومة لها.

زينب بتعجب وفضول:

- في إيه يا بنتي مالك؟ حتى مفيش صباح الخير وجاية متشعننة كده

ليه زي اللي طالعة من خناقة وعمالة تبرطمي ومش عارفة بتقولي إيه؟

زمَّت (ريم) شفتيها بغضب:

- كان نفسي فعلًا تبقى خناقة، أنا ليه ممسكتهوش وضربته ولميت عليه الناس.

زينب بدهشة متسائلة:

- هو مين ده يا بنتي؟

- حد غبي ومتخلف وعديم الذوق وميعرفش يتعامل مع ستات.

زينب مداعبة إياها:

- هما فين الستات دول؟

لتقوم (ريم) بضربها بفرشاة الرسم على رأسها حتى قهقهت (زينب) قائلة لها:

- والله بهزر معاكي، وهو في زيك.

فتبتسم (ريم) في خجل:

- ماشي يا ستي، بس والله لو شفته لهكسر دماغه وامسكه من رقبته ومش هسيبها إلا لما يعتذر لي وقبلها يديني الأسطوانه بتاعتي.

في تلك اللحظة صديقهم (أحمد) يرجع إلى الخلف قليلًا بظهره لرؤية التابلوه المنهمك فيه من زاوية بعيدة بعض الشيء فيرتطم بهذا

الشخص نفسه (منير) فيبدأ صوته يعلو بعصبية وغضب على (أحمد) والذي دون قصد منه عند ارتطامه به سقطت الأسطوانة نفسها أرضًا وكُسِرت نصفين، فيحاول أحد الأصدقاء في الأتّليه التدخل لإنهاء هذا الشجار، لكن صوت (منير) كان عاليًا بعض الشيء مما جعل (ريم) تنتبه إليه متذكرة صوته، حتى اتسعت حدقة عينيها عندما رأته فذهبت إليه سريعًا، حتى تفاجأ برؤيتها وأصابته حالة من الذهول متوقفًا على الفورعن صوته العالى والشجار مع (أحمد).

ريم بابتسامة عريضة ونظرة انتصار تنظر إلى الأسطوانة المكسورة في يديه لتردف في برود:

- تقدر حضرتك تحملها من على النت دلوقتي.

ثم تعطيه ظهرها لتعود إلى مكانها ثانيًا أمام الإستاند الخاص بها لتبدأ في الرسم بانتشاء، بينما تترقب (زينب) ما يحدث في اهتمام وتعجب إلي (ريم) متسائلة:

- هو في إيه؟ ومين ده؟ إنتِ تعرفيه؟

- ده اللي كان نفسي أكسر له رأسه من شوية لكن عندما يبدع القدر في تصفية الحساب يا صديقتي العزيزة.

قالتها بصوت رخيم وبابتسامة واسعة على شفيها.

بينما (منير) مازال واقفًا في ذهول ينظر تجاه (ريم) محاولًا فهم ما حدث من ثوانٍ قليلة إلى أن جاء (عصام) وهو صديقه وأيضًا من أعضاء فرقته الغنائية.

- يلا يا منير مش وقته اللي بيحصل ده خلينا نشوف أستاذ كريم المسئول هنا الأول.

في هذا الوقت (زينب) تترقب كالردار ما يحدث خلفهم لتبلغه لصديقتها (ريم) أولًا بأول لتُرْدِف زينب بحماس:

- إلحقي دول رايحين ناحية مكتب أستاذ كريم.

ثم فركت رأسها بتفكير لتتابع متسائلة:

- ياترى هما رايحين ليه عند مكتب أستاذ كريم؟!

- معرفش.

تقترب (ريم) من (زينب) وبابتسامة طفولية تحاول أن تضبط لها ياقة بلوزتها وهي تعض على شفتيها السفلى ثم أردفت بهدوء ودلع مبالغ:

- طب إيه رأيك يا زينبو تروحي المكتب عند أستاذ كريم وكأنك بتسألية عن ميعاد المعرض إمتى وهو وبالمرة تطأسي تشوفلنا دول جايين ليه هنا.

زينب قطَّبَت حاجبيها باستياء وغضب مصطنع:

- أنا؟ أتطأس!! مش عيب تقولي كده وإنتِ صاحبتي الوحيدة، أنا يا ريم... أطأس... عيب عليكي بجد، عن إذنك بقى أنا ماشية.

- هتروحي فين؟

- هروح أطأسلك في إيه جوه طبعًا.

تُقهقه ريم بابتسامة قائلةً:

- يا زينبو يا قلبي إنتِ.

لتعود مرة أخرى إلى مكانها أمام الإستاند تنتظر (زينب) في لهفة وترقب.

*****

الفصل السادس

مكتب أستاذ كريم:

(أستاذ كريم) المسئول عن هذا المكان الذي هو عبارة عن مساحة كبيرة لمسرح يأخذ نصف المكان، وركن جانبي يوجد به بوفيه خاص بالموجودين في المكان فقط، وباقي المساحة خاصة بالأتّليه والمعرض في نفس الوقت، أستاذ كريم جالسًا على مكتبه وأمامه عقد إيجار للمسرح يقوم بمراجعة محتواه جيدًا ثم أمسك قلمه ووقَّع على العقد ثم وضعها أمام (منير) وأردف بجدية قائلًا:

- اتفضل يا أستاذ منير تقدروا تبدأوا بروفتكم في أي وقت، المسرح بتاعكم للمدة اللي تحددوها دلوقتي واللي هنسجلها في العقد.

أمسك (منير) العقد ليتفقد هو الآخر محتواه باهتمام ثم أردف قائلًا:

- شكرًا يا أستاذ كريم.

ثم أعطى العقد إلى (عصام) ليقوم بفحص محتواه هو الآخر، وفي ذلك الوقت يدق باب المكتب فتدخل (زينب) وبابتسامة ماكرة:

- صباح الخير، أنا آسفة يا أستاذ كريم بس كنت عايزة أسألك عن ميعاد المعرض السنوي أمتى بالظبط؟.

ثم ألقت نظرة خاطفة على الورقة التي بيد (عصام) ليجيب عليها (أستاذ كريم) قائلًا:

- في شهر أبريل يا أستاذة زينب.

بينما (زينب) مازالت منشغلة بقراءة العقد الذي بيد (عصام) باهتمام مبالغ حتى انتبه لها (أستاذ كريم) قائلًا بتعجب:

- في حاجة تاني عايزة تسألى عليها يا زينب؟

زينب بتلعثم وارتباك:

- أيوه يا أستاذ كريم، لا ميرسي لحضرتك.

فخرجت مسرعة إلى الخارج لتشير إلى (ريم) رافعة يدها بعلامة الانتصار وكأنها قادمة من معركة هي فيها الرابحة، ثم صاحت بلهفة:

- ريم إلحقي منير هييجي من بكره علشان يعملوا بروفة هنا على المسرح.

ريم بتعجب متسألة بفضول:

- منير مين؟!

- اللي جوه ده اسمه منير ومعاه فرقة غنائية اسمها (أنا كويس) وهيعملوا بروفه هنا في المسرح ابتداءً من بُكره.

لم تبدِ (ريم) اهتمامًا لباقي ما يقال من (زينب) وبفكر منشغل شارد وهمهمة غير مسموعة:

- منير!

- ريم إنتِ معايا؟.

لتعود من شرودها مجددًا لتنتبه إلى حديث (زينب) قائلة:

- آه معاكي يا زينب.

تنظر (زينب) إليها بنصف عين وبابتسامة ماكرة:

- شكلك مش معايا خالص، ماشي يا ستى أنا رايحة أجيب حاجة دافية أشربها في أم البرد ده، أجيبلك حاجة معايا؟

- لا ميرسي.

تتصنع (ريم) الانشغال بالتابلوه لكن ذهنها مازال شاردًا فيما حدث من بداية يومها، حتى خرج (منير) وصديقه (عصام) من مكتب (أستاذ كريم) ليتفقدا المسرح، (ريم) تتصنع عدم الاهتمام و(منير) يتصنع اللامبالاة، ربما يكون تصنعًا مقبولًا على الأقل الآن، بداخل كلًا منهما

كبرياء يمنعهما من تقبل هذا الأمر فقد أصبحا شريكين في مكان واحد يجمعهما، ربما يكون طوال اليوم أو أثناء تواجدهما فترة الصباح فقط. ظلت (ريم) تتصنع التجاهل ونظرات خاطفة من كليهما لبعضهما حتى خرج من المسرح إلى الخارج لكن في تلك اللحظة تقابلت أعينهما دون قصد، صمت كل شيء حولهما، توقف الصَّخَب للحظة وللحظة شعر كلاهما بعدم السيطرة وهنا فقدا زمام كبريائهما لتضعف نظراتهما لثوانٍ حتى ابتعد (منير) لتغمض على أثره عينيها، لتتنهد بعمق ثم تتوقف للحظات محاولةً أن تستجمع دقات قلبها وتسترجع فكرها فتنظر إلى لوحتها وكأنها تتعرف عليها من جديد.

*****

الفصل السابع

الأتّليه وبعد أسبوع:

تأخرت (ريم) كغير عادتها حتى أن صديقتها (زينب) لاحظت نظرات القلق الواضحة على (منير) وعيناه التي لم تبتعد عن الباب لحظة واحدة أثناء تواجده فوق المسرح وسط فرقته وعدم تركيزه وذهنه الشارد، الأخطاء التي تتكرر في كل مرة تعاد فيها البروفة حتى لاحظ (عصام) تلك الحالة التي أصابت صديقه فاقترب منه بنفاذ صبر:

- في إيه يا منير؟ دي المرة الكام اللي بنعيد فيها، مفيش وقت على فكرة.

تنهد (منير) بضيق واستسلام تاركًا من يده الجيتار ليردف بنبرة ضعيفة:

- معلش يا جماعة أصلي مرهق شوية النهارده سامحوني.

فتدخل (ريم) في تلك اللحظة وبنظرة خاطفة منها تجاه المسرح دون قصد أو ترتيب مسبق، حتى رمقها (منير) بعينيه وابتسم، وأيضًا دون قصد أو ترتيب(تلك الأشياء التي تأتي دون قصد، إن أعدت ترتيب ذكرياتك ستجد بأنها لا توجد أروع منها، تأتي دون قصد أو ترتيب، هي

عبارة عن سيناريو ارتجالي، مشاهد لن تتكرر مرة أخرى)

ينتفض قلب (منير) من مكانه ويستعيد مرة أخرى اتزانه بتواجدها أمام عينيه حتى وإن كان الأمر مجرد شعور، أو ربما كانت نظرات فقط.

((في قانون الحب لأول مرة القليل دائمًا يكفي))

تضع (ريم) حقيبة يدها جانبًا وتجلس أمام لوحتها بصمت وهدوء، بينما (زينب) تحتفظ بالكثير من الأحداث التي جعلتها عند رؤية (ريم) تستقبلها بابتسامة وحماس كأنها وجدت نهرًا ستصب فيه الكثير من المواضيع والأحداث الهامة:

- إنتِ فين يا بنتي وليه التأخير ده كله؟

ريم في هدوء:

- براحة عليا في إيه؟

زينب بتهكم:

- في إيه؟ أتأخرتي كده ليه؟
- أصلي عديت على ماما الأول، وبعد كده أتأخرت ساعة واحدة حصل إيه يعني لكل ده؟

تعتدل (زينب) في جلستها استعدادًا لإذاعة الأحداث:

- نوافيكم بالأحداث؛ من أول ما جِه وهو مَشَلْش عينه لحظة واحدة من على الباب وكل شوية يتلخبط في البروفه لدرجة أني صدعت، يعيد ويزيد يعيد ويزيد لحد ما دخلتي وهو تقوليش الوحي نزل عليه وابتدى يركز شوية.

ريم بابتسامة خافتة:

- ليه هو أنا كنت الوحي بتاعه؟

- بقولك إيه أنا هروح أشوف عند (عم حمدي) حاجة للصداع.

ثم تتركها (زينب) وتمشي واضعة يدها فوق رأسها مع تنهيده ألم قاصدة البوفيه، استوطن الفرح قلبها بعد أن سمعت ما قالته (زينب) وكأنها كانت تنتظر هذا الحديث، تحاول إخفاء مشاعرها الجامحة خلف صمتها ووجه اللامبالاة الذي رسمته على ملامحها.

(شيء جديد، إحساس مختلف، سعادة؟! ارتياح؟ عالم فارغ من الضوضاء، أوتار الجيتار فقط هي من لها الحق في الحديث، كل شيء أصبح له مذاقًا جديدًا ورؤية أوضح، ألوان متضاربة ممزوجة بطريقة عشوائية لكنها جميلة وذات معنى)

حاولت أن تتصنع عدم الاهتمام فبدأت في الانشغال بالتابلوه الذي أمامها، فلاحظت عدم ارتياح التابلوه في مكانه المضبوط على الإستاند

فتتعجب باستياء ظنًا منها بأن هناك مشكلة ما في الإستاند نفسه فتحاول أن تضبطه لتتفاجأ بوجود ظرف كبير خلف التابلوه، تقلبه بين يديها بحذر تتفحصه متعجبةً، ثم قامت بفتحها بهدوء حتى لمعت عيناها بفرح وابتسامة عندما وجدت أسطوانة لـ (فرانك سيناترا) مصحوبة بورقة صغيرة تحتوي على كلمتين فقط:

- (أنا آسف).

نظرت (ريم) على الفور تجاه المسرح لتجد (منير) يترقب ما يحدث من بعيد، حاولت أن تخفي ابتسامتها لكنه بالفعل قد رآها، نظرت تجاه التابلوه بخجل ثم وضعت الظرف على قلبها بلا وعي إلى أن جاءت (زينب) لتقطع هذا الشغف، وتلك الموسيقى التي أُسْتحضرت لجيتار (عمر خورشيد).

زينب بتعجب:

- هو فيه إيه؟ إنتِ مِسَهِّمَه كده ليه، هو حصل حاجة؟

ريم بهدوء همست:

- نعم؟ بتقولي حاجة يا زوزو؟

زينب بحدة:

- نعم إيه؟ بقول مِسَهِّمَه كده ليه وإيه اللي في إيدك ده؟

ترتبك (ريم) محاولة إخفاء الأسطوانة خلف الإستاند مرة أخرى.

- مفيش حاجة، وبعد كده مش هتفهمي إيه ده؟
- حد قالك إني حمارة؟ هتقولي وإلا أجيبها بنفسي أشوفها؟

خفضت (ريم) رأسها ثم تنهدت باستسلام:

- بصراحة منير بعتلي أسطوانة جديدة لفرانك سيناترا.

تتنهد (زينب) بابتسامة وهي تحرك أهدابها بهدوء:

- وبعد كده حصل إيه تاني؟

ريم بجدية مصطنعة:

- وبعد كده إيه، خلاص محصلش حاجة تاني.
- يعني مسبلكيش رقم تليفونه ولا حاجة؟
- إنتِ مجنونة؟ طبعًا لأ؟ زينب كملي اللي بتعمليه.

زينب بصوت رقيق ونحنحة مصطنعة:

- حاضر يا باشمهندسة ريم.

خارج الأتّليه:

وبعد انتهاء اليوم، تخرج (ريم) لتجد (منير) ينتظر داخل سيارته وما إن رآها تَرجَّل منها على الفور واتجه ناحيتها راسمًا ابتسامة على ثغره

وبهدوء أردف قائلًا:

- ممكن نتكلم شوية مع بعض؟

تعجبت (ريم) لطريقته وتسرعه في طلب الحديث معها بتلك الجراءة وبدون أي مقدمات لتُردِف متسائلة:

- مش فاهمة؟ وبعد كده ما أنتَ بتتكلم أهو فين المشكلة؟

منير بجدية وكلام مرتب:

- أنا آسف بس أنا مبعرفش أزوق كلامي، اللي ببقى عايز أقوله بقوله من غير أي تفكير، فممكن تعذريني على أسلوبي لو كان فعلًا مضايقك؟

اقتنعت (ريم) بوجهة نظره وبأن تلك النوعية من الناس واضحة خالية من المشاعر الزائفة المتصنعة، وبابتسامة تشير بيدها لـ (منير) أن يتوقف عن الكلام لتقطع حديثه قائلة:

- موافقة على فكرة أننا نقعد نتكلم.

وبابتسامة ونبرة حماسية:

- يبقى أعزمك على فنجان قهوة الأول.

- موافقة.

- تمام، يبقى يلا بينا، هوديكي كافيه مخصوص للقهوه بس.

قالها وهو يتقدم أمامها تجاه السيارة ثم فتح لها الباب طالبًا منها أن تستقل بجانبه، وبابتسامة متبادلة من كليهما تستقل (ريم) السيارة ثم أقلع (منير) بحماس شديد قاصدًا هذا الكافيه.

*****

الفصل الثامن

داخل الكافيه:

يحاول (منير) أن يكون لطيفًا في تصرفاته مع (ريم) حتى يمحي أول لقاء لهما من ذاكرتها؛ ليخلق ذاكرة جديدة وتعارف جديد يليق بهما. وما إن اقتربت (ريم) من الطاولة أزاح المقعد قليلًا بطريقة لطيفة طالبًا منها أن تجلس:

- اتفضلي.

تجلس (ريم) متعجبة لما يحدث وتلك الشخصية الغريبة المتناقضة كأنه شخص آخر غير هذا الذي التقت به منذ أسبوعين، غامت بعينها وهي تأخذ نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل لتستمتع برائحة القهوة التي تَعبِّق المكان، ثم ابتسمت بخفة قائلة له:

- ريحة الكافيه هنا تجنن، تحس أنك قاعد جوه فنجان قهوة.

قهقه (منير) بهدوء ليصمت بعدها لثوانٍ ثم تابع بنبرة حزينة:

- بحب أجي هنا دايمًا، كل ما أحس إني مضغوط أو حابب أقعد مع نفسي شوية باجي هنا على طول.
- فعلًا المكان هنا يجنن أنا إزاي مسمعتش عنه قبل كده؟

تلتفت حولها في اهتمام لتتعرف على المكان، ثم نظرت إلى (منير) بتلقائية لتجده يتأمل ملامحها في صمت كأنه يراها لأول مرة، احمرت وجنتيها خجلًا ثم رفعت يديها لتزيح خصلات شعرها عن وجهها، خفضت رأسها لتعبث بأظافر يديها في ارتباك، ثم تنحنحت بهدوء محاولة أن تخلق حديث عن أي شيء، أردفت بصوت مرتعش متصنعة الجدية:

- آه نسيت أقولك ميرسي على الأسطوانة.
- المهم أنك تكوني قبلتي اعتذاري.
- لو ماكنتش قبلت اعتذارك مكنتش جيت معاك هنا.

اكتفى (منير) أن يرد بابتسامة فقط، ثم نظر إلى الطاولة ليعبث بعُلبة السجائر، يقلبها يمينًا ويسارًا في صمت، لاحظت (ريم) شرود ذهنه وكأنه ذهب إلى مكان آخر ثم أردفت لتكسر هذا الصمت قائلة له:

- على فكرة صوتك حلو قوي.
- بجد؟!! وأنتِ كمان رسمك حلو قوي، بس عجباني فكرة أنكم تعملوا أتليه ومسرح مع بعض.

تعتدل (ريم) في جلستها تستعد لشرح فكرة المسرح.

- هي فكرة فعلًا جميلة، اللي عنده موهبة بيقدر يخرجها سواء رسم، شعر، غناء، كتابة، الموضوع مش مختصرعلى الغناء والرسم فقط،

بس عارف أنا بعشق الرسم بالإسبراي وعلى مساحة كبيرة قوي ونفسي فعلًا أعمل كده.

- وإيه المشكلة في كده بتحبي حاجة ليه متعملهاش؟

- المشكلة إن كل واحد فينا محدد له مساحة معينة يرسم فيها غير كده فممنوع.

ظل (منير) يتأمل ملامحها وهي تتحدث، وعندما أدركت أنه ينظر إليها في اهتمام ارتبكت وتلعثمت فتوقفت على الفورعن الكلام، ثم تابعت بصوت مرتعش:

- صدعتك؟

- بالعكس... حابب أسمعك... كملي كلامك.

- خلاص مفيش كلام تاني.

تبدو ملامح (منير) حزينة، مختنقة خلف ابتسامة واهية منذ أن دخل الكافيه، وكأن هناك شيئًا ما قد أعاد له ذكرى مؤلمة، يشد انتباهه حديث (ريم) بعض الشيء ثم سرعان ما يغوص في تلك الحالة مرة أخرى، تلك المرة أخذت (ريم) قرارها في سؤاله عن التغيير الذي انتابه منذ دخوله الكافيه بجراءة قائلة له:

- هو أنا ممكن أسألك سؤال ومش عايزاك تقول أني فضولية أو بتعدى حدودي؟.

- اتفضلي أسألي طبعًا؟

- كنت بتيجي الكافيه ده مع حد مش كده؟.

وكأنها وضعت يديها فوق جُرح لم يندمل بعد، ثم أومأ برأسه (نعم)، فيعود يعبث بعُلبة السجائر مرة أخرى، نظر إليها بنصف عين ونصف ابتسامة ثم نَكَس رأسه في استسلام، تلوَّن وجه (ريم) من الصدمة، لتختار بعدها الصمت ثم الانتظار، تسأل نفسها:

- (هل هناك حب بهذ الشكل الذي يجعل رجلًا يتذكرها وهو جالس مع امرأة أخرى، وأي امرأة أنا؟ صديقه فقط، ولماذا تقتلني الغيرة إذًا؟ ولماذا أشغل بالي بهذا الحديث، يحب أو يكره، يتذكر أو ينسى، شيء يخصه هو، وليس لى شأن في هذا، لكن لماذا يؤلمني قلبي؟؟!! ربما لأنني صُدمت من كلامه فقط، وما يجب أن أعرفه أنه مجرد صديق هذا ما عليَّ أن أذكره لنفسي دائمًا، صديق فقط).

- سكتي ليه؟

تحاول ريم أن تستجمع كلامها ليبدو متزنًا أمامه:

- أبدًا، بس المرة دي أنا اللي عايزة أسمعك.

ابتسم ثم أردف بنبرة حزينة وصوت مختنق:

- كان اسمها كاميليا، كنا مرتبطين ببعض قوي، كنا تقريبًا يوميًا سوا، كانت بتتصل بيا وأفضل أحكيلها في حواديت لحد ما تروح في

النوم، ماكنش حد متخيل أننا في يوم ممكن نبعد عن بعض، فجأة وبدون أى مقدمات قالت لي أن أهلها هيرفضوني لو فكرت أتقدم وبعدها غابت عن حياتي، عملت لي بلوك من حياتها كلها، ولحد دلوقتي مش قادر أنساها.

ثم أمسك عُلبة السجائر من أمامه، تناول سيجارة بين شفتيه وأشعلها بيد مرتعشة، أخذ نفسًا عميقًا إلى داخله ثم نَفَث الدُخان في الهواء أمامه حتى ذاب، ثم تابع:

- طب إنتِ عارفة عندي أوضة في شقتي مليانة صورها في كل مكان وكل ما بتوحشني أدخل أقعد فيها، وأكلمها، كأنها قدامي، أعاتبها، أتخانق معاها، أخاصمها.

نَكَس رأسه فبدأت دموعه تتلألأ، حاول أن يُخبئها خلف يده وهو يكفكفها سرًا أمام نظر (ريم) التي ظلت تتأمله في صمت وفي قلبها غُصَّة تكاد تقتله، تسأل نفسها:

- (هل هناك رجل بهذا الإخلاص والحب)

أحست بألم يسكن ضلوعها اكتفت بالتنهيدة والعبث بخاتم حول إصبعها، تنهد (منير) ثم تابع حديثه دون النظر إليها، منشغلًا بهذا الدخان الذي يصعد إلى السماء ثم يذوب:

- عارف إنك ممكن تقولي عليا مجنون، بس أنا عاشق مش مجنون فيه فرق.

اكتفت بابتسامة وأومأت إيماءة صغيرة برأسها وبصوت هادىء مذبب:

- صدقني فهماك، جايز أكون عمري ما حسيت بالإحساس اللي مالكك دلوقتي بس أنا واصل لي أنت عايز تقول إيه.

أشار (منير) بيده إلى النادل طالبًا منه أن يأتي، وما إن تقدم أومأ بخفة لتحية (منير) ونظر إلى (ريم) بابتسامة وانحنى بخفة أمامها ليسألها:

- حضرتك تشربي إيه.

- قهوة زيادة.

ثم تركها النادل ومشى، تعجبت (ريم) لذهابه دون أن يسأل (منير).

- هو مسألكش ليه؟

- مش قولتلك أنا هنا علطول، هما هنا عارفين أنا عايز إيه.

ابتسمت وحاولت أن تجد حديثًا آخرغير ذلك الحديث عن حبيبته السابقة، تبادلت الحكايات والحديث عن والدها وعن أحلامها، كان يستمع إليها تلك المرة باهتمام كبير، حتى أتى النادل بالقهوة ليضعها أمامها فاقتربت (ريم) من فنجانها لتأخذ نفسًا عميقًا مستمتعة برائحة قهوتها.

منير بابتسامة:

- دوقي بقى القهوة هنا وقول إيه رأيك؟

تقترب (ريم) من الفنجان بشغف لترشف القليل منه، ثم غامت

بعينيها وكأنها لأول مرة تتذوق فيها القهوة وباستمتاع كبير:

- إممممم طعمها يجنن وريحتها لا توصف، تحس كده أنها بتطلع على الدماغ على طول.

قهقه منير بانتشاء:

- غمضي عينك وعيشي بقى معاها، بس حاولي تجربي أنك تشربيها سادة.
- أنا بشربها زيادة.
- وأنا مش بشربها إلا سادة.
- مش عارفة إزاي بتقدر تشربها سادة؟
- أصلي القهوة مش بتتشرب إلا كده.
- استحالة أقدر أشربها سادة.
- يبقي مش بتعرفي تشربي قهوة.

بدأ (منير) الخروج من تلك الحالة التي كان بها منذ البداية؛ انشغل ذهنه وفكره بالحديث مع (ريم) تناسى ما به، أو هذا ما أخبرها به لاحقًا... أنه بالفعل قد نساها.

*****

الفصل التاسع

شقة ريم:

دخلت ريم من باب شقتها بابتسامة على وجهها تدندن بعض الموسيقى وترقص كالفراشة ثم خطت في تجاه ركنها الخاص، لتخرج الأسطوانة التي أهداها إياها (منير) لـ (فرانك سيناترا) لتضعها في (الفنوغراف) ثم جلست على (الشيزلونج) لتبدأ الأسطوانة في التشغيل، أغمضت عينيها في شرود وابتسامة لم تفارق ثغرها منذ أن تركته، تذكرت ملامحه، حديثه، ضحكته، حتى حزنه وشروده، تعيد كل ما مر كشريط سنيمائي أمامها، سعادة تغمر قلبها لأول مرة تشعر بها، لكنها وللحظة تذكرت ما قاله عن حبيبته (كاميليا) وتعلقه الشديد بها إلى الآن، تبخرت تلك الابتسامة، فتحت عينيها في أسى، استقامت من جلستها ثم اقتربت من النافذة لتنظر إلى اللاشيء، طوقت زراعيها حول صدرها محتضنة نفسها، باحثة عن الدفء لقلبها قبل جسدها، تتأمل أنفاسها التي تعبث بزجاج النافذة لتتحول إلى قطرات من الماء، تتأمل بالخارج شتاء ديسمبر وزخات المطر، ومداعبتها للناس في الطريق، فتبتسم ثم تتنهد، وتذهب تاركة ركنها الخاص بعد أن أغلقت (الفنوغراف).

شقة (منير):

دخل (منير) شقته ووضع مفاتيحه على طاولة صغيرة بجوار الباب ثم ارتمى بجسده على الفوتيه ممدًا جسده المتعب واضعًا يده على جبيه محاولًا سرقة بعض دقائق من النوم؛ فهناك عمل ينتظره مع فرقته لإحياء ليلة في إحدى الفنادق الكبرى، شقته بسيطة كأى شاب عازب، بعض الأثاث البسيط لكنه غالي الثمن، بعد ساعتين من الغفوة استيقظ على رنة هاتفه، فرك عينيه محاولًا النظر إلى إضاءة الهاتف الذي أزعجته بعض الشيء، وبصوت مرهق ناعس أجاب على المكالمة:

- ألو، أيوه يا عصام، لا كنت نايم، لا النهارده مش هقدر أجي، لا تعبان شوية، حاسس أني جسمي واجعني وداخل على دور برد ومحتاج أنام، عصام أخلص مفيش دماغ ليك، مش أول مره تشتغلوا من غيري، ماشي هبقى أطمنك أول ما أصحى، باي.

ثم أغلق هاتفه ليُلقي به على الطاولة أمامه، ثم استند عليها محاولًا الوقوف، البيت مظلم يكاد (منير) أن يتعثر في الأثاث، تحسس حتى وصل إلى ضوء أباجورة صغيرة مكتفيًا به، خطوط الضوء الخافتة تنير الطريق إلى المطبخ وبخطوات بطيئة احتضن الحائط حتى وصل إلى الثلاجة، فتناول منها زجاجة (واين) وترك الباب يُغْلق من تلقاء نفسه، تناول كأسًا فارغًا وخرج من المطبخ، ثم اتجه نحو غرفة مغلقة وتوقف لثوانٍ ثم زفر بهدوء، كأنه يستعد لمقابلة أحد ما، أدار مقبض الباب

في هدوء ودلف بخطوات ثقيلة، ثم ضغط على زر الإنارة الخافت، لينظر حوله بعين لامعة متأملًا حوله في حزن، فهي غرفة مليئة بالصور لحبيبته (كاميليا)، لا يوجد بها سوى مقعد هزاز يحدث صريرًا ضعيفًا عند الحركة، وبجانب المقعد طاولة صغيرة تكفي طفاية سجائر وزجاجة مشروبه وكأس فقط، بالزاوية سرير صغير يفترشه من حين إلى آخر هاربًا من الواقع إلى خيال أحضانها، جلس على المقعد وبدأ في ملء الكأس ثم رجع بظهره إلى الوراء ليبدأ صرير المقعد في الغناء ولتبدأ عيناه في التأمل وهو يرشف مشروبه الـ (واين) وكأس وراء الآخر، ثم تمتم ببعض الكلمات الغير مفهومة حتى ترقرقت عيناه بالدموع ليكفكفها بظهر يده وبطريقة طفولية، فحاول النهوض والاقتراب من صورة معلقة على الحائط وبخطوات ثملة من فرط الشرب، بدأت نبرة صوته تعلو بعتاب:

- سبتيني ليه، طب موحشتكيش، مفتكرتيش تسألي عني، تقولي أنا عايش إزاى من بعدك.

قهقه بحزن ثم تابع مهاجمًا:

- بس صدقيني أنا دلوقتى بكرهك.. بكرهك قوي، ومش عايز أشوفك تاني.

ثم استند بظهره على الحائط حتى جثا على الأرض وبصوت خافت متألم:

- بس أنتِ فين؟ ما كده كده أنا مش عارف حتى مكان ليكي.

ضم ركبتيه إلى صدره وأحاطها بذراعيه وتكور على نفسه، ثم أغمض عينيه حتى غاب.

وبعد وقت طويل....

استشعر برجفة في جسده أيقظته، فاستند على الحائط محاولًا الهرب من الصقيع إلى أحضان سريره هاربًا من غرفة ذكرياته.

((شتاء ديسمبر لا يرحم أحدًا حتى من امتلأ قلبه بدفء العشق))

*****

الفصل العاشر

الأتّليه وصباح اليوم التالي:

تنتظر (ريم) بتأفف وضجر وعيناها منكستان على ساعتها تارة وتارة أخرى نحو الباب ثم تعود لتنظر إلى اللوحة التي أمامها بنصف عقل، المسرح ينقصه (منير) فهو لم يأتِ بعد، تُحَدِّث نفسها بعتاب ونفاد صبر:

- (لم أعتدْ أن أنتظر أحدًا ما يومًا، يجب عليَّ أن أنسى أمره، ولكن، ماذا بعد؟ لا شئ! سنكون بخير، مجرد لحظة من التفكير المشتت وكل شيء سيكون على ما يرام، لن نشتاق إلى أحد، وكل المشاعر التي بداخلنا زائفة، نعم، هي كذلك اعتدلي يا (ريم) وانتبهي لتصرفاتك جيدًا حتى لا يلاحظ أحد هنا شيئًا).

أحست (زينب) بأن هناك شيئًا غير عادي يحدث لـ (ريم) فتركت ما تفعل واقتربت منها تسألها باهتمام:

- مالك يا ريم؟ إنتِ كويسة؟

نظرت (ريم) إليها بعينين ذابلتين ثم هزت رأسها بـ (نعم)، رفعت (زينب) حاجبيها مستنكرة حديثها:

- حاسه إنك بتكدبي عليا مش عارفة ليه؟

ثم عقدت زراعيها أمام صدرها وتابعت بمزاح:

- بعد كده أنا واخدة بالي منك كويس من ساعة ما جيتي، وكل شوية تبصي في الساعة وتنفخي ومش أعدة على بعضك ومن الصبح مرسمتيش أي حاجة وأعدة تكلمي نفسك، هو أنتِ مخبية عليا حاجة يا ريم؟

أجابت (ريم) ببرود مصطنع:

- لا خالص، مفيش أي حاجة صدقيني، أنا بس تعبانة شوية ومنمتش من إمبارح.
- مش عارفة بس حاسة إن فيه حاجة معاكي وبتحاولي تخبيها عليا؟

فخطفت نظرة إلى المسرح ثم تابعت حديثها:

- إنتِ قلقانة علشان منير مجاش لحد دلوقتي مش كده؟

استقامت (ريم) في مكانها ووجهها محتقن بالغضب لكن من نفسها، عندما اكتشفت بأن ما تحاول أن تخفيه أصبح واضحًا لـ (زينب)، فتناولت حقيبتها ووضعتها على كتفها في عصبية ثم هرولت إلى الخارج دون كلام، بل تلاشت أيضًا النظر إلى (زينب) والتى صُدِمت من رد فعلها عندما ذكرت لها اسم (منير).

زينب بتعجب تنظر إلى أثرها حتى خرجت ثم أردفت بخفوت متعجبة:

- هو فيه إيه؟ مالها المجنونة دي؟

في الخارج:

لم يكن تصرف (ريم) سوى هروب من الحقيقة التى تحاول أن تخفيها عن نفسها، كانت تمشي بخطوات عصبية مضطربة، غاضبة، حتى تفاجأت بوجود (منير) أمامها، وعلى وجهه علامات التعب والإجهاد، توقفت ونظر إليها دون كلام، لكن نظرتها له كانت عتاب ولَوْم، تنهدت بشدة ثم أشاحت بنظرها إلى الاتجاه الآخر، إلى اللا شيء لم يتعجب منير من رد فعلها، فأردف بنبرة جادة متزنة:

- محتاج أتكلم معاكي، ممكن؟

هزت رأسها بالموافقة.

تحرك (منير) بسيارته وهي على المقعد المجاور وقد غلبهما الصمت، اكتفى هو بالانشغال بالطريق حتى توقف أمام كافيه آخر غير الكافيه الذي كان بالأمس، نظرت إليه (ريم) متسائلة في تعجب:

- مروحتش ليه الكافيه اللي كنت متعود عليه؟

ترَجَّل (منير) من السيارة ثم اتجه إلى الباب الآخر الذي بجانبها ثم توقف وهو ينظر إليها بصرامة:

- مش عايز أروح هناك تاني ومتسألنيش ليه.

فَغَرَتْ فاها بذهول ثم تَرجَّلت من السيارة بصمت وكأن حنجرتها قد تقلصت وابتلعت الكلام، ثم دلف من باب الكافيه في هدوء وهي تسير بجانبه، لم يختلف الكافيه كثيرًا عن الكافيه الذي ذهبت إليه في المرة السابقة، أيضًا رائحة القهوة تغلب على المكان، لحظات صمت حتى عندما جلست نظرت إليه بابتسامه باهتة، أشعل سيجارته واستنشق منها نفسًا عميقًا ثم زفر دخانها بشدة ليطفئها قبل أن ينتهى منها، ثم نظر إلى (ريم) أردف باهتمام قائلًا:

- عاملة إيه؟

هزت رأسها وعلى شفتيه رسمت ابتسامة حزينة ثم أجابت:

- أنا تمام.

- نمتي كويس؟

- لا.. وأنت نمت كويس؟

- مش عارف أو مش فاكر نمت إزاي بس كل اللي فاكره إني صاحي تعبان ومصدع.

ريم بقلق:

- أخدت أي علاج للصداع؟ ولا تحب أروح معاك لدكتور يطمنك أحسن.

منير بابتسامة ونبرة هادئة سألها:

- خايفة عليا؟

صُدِمت (ريم) لكلامه فابتلعت ريقها بارتباك ثم تابعت بتلعثم:

- لا مش خايفة ولا حاجة، بس شكلك مرهق وبعد كده سجاير وقهوة وأكيد من غير فطار فلازم تصدع؟

ابتسم (منير) بانتشاء ثم أردف بحنان قائلًا:

- تعرفي أول مرة حد يهتم إذا كنت فطرت ولا لأ.

نظر إلى عينيها مباشرة ثم تابع بخفوت:

- إنتِ جميلة قوي.

احمرت وجنتيها ثم طأطأت رأسها لتعبث بالخاتم من جديد.

- تعرفي أول مرة أحس إني محتاج أكون مع حد زي ما كنت محتاج أكون معاكي النهارده، استغربت لنفسي، أنا معرفكيش من وقت طويل، ويمكن سوء التفاهم اللي حصل بينا يخليكي أكيد مش طيقاني بس مش عارف؟ حسيت إنك وحشاني.

يرتجف قلبها تشعر بأن العالم قد توقف مع أنفاسها والتي شعرت للحظة بأنها حُبِست مع كلماتها داخل حلقها، تحاول أن تهرب بعينيها بعيدة عنه لكن عينيها أَبَت وبقيت تتأمله في شَوْق ممزوج بالخجل.

تأمل (منير) ملامحها وعبوس وجهها ليداعب صمتها قائلًا:

- ساكتة ليه؟

- بسمعك.

- أنا كمان عايز أسمعك.

عضَّت (ريم) شفتها السفلى بخجل ثم تنهدت بخفوت وأتْبعَت بعد برُهَة من الصمت:

- مش عارفة إيه اللي ممكن يتقال بعد كده؟ بس أنا كمان مستغربة لنفسي قوي، مجرد غيابك النهارده خلاني قلقانة عليك، وده عمره ما حصل معايا قبل كده، ليه أنت بالذات مش عارفة؟

- ممكن أطلب منك طلب، مش عايزك تفكري ولا تسألي نفسك ده حصل ليه، سيبي مشاعرك هي اللي تحركك سيبي نفسك لإحساسك.

عقدت حاجبيها مستنكرة:

- وتفتكر ده صح؟

- علشان ده اللي إحنا تقريبًا مفتقدينه، عايزين نلغي عقولنا شوية، أنا مش عايزك تفكري، عايزك تلغي عقلك معايا ممكن؟

- إزاي ألغي عقلي؟

- يعني متفكريش وإنتِ معايا.

- خايفه بجد، ولأول مرة أخاف كده.
- أنا آخر واحد في الدنيا ممكن تخافي منه.

أسدلت (ريم) أهدابها على عينيها في خَوْف ثم تنهدت بهدوء واستسلام، محاولةً منها البحث عن الطمأنينة داخل كلامه، لكن مازال عقلها رافضًا فكرة التعلق بأحدهم، وماذا سيحدث إن تركت نفسها وألغت عقلها بالفعل كما يقول لها.

*****

الفصل الحادي عشر

شقة ريم:

تجلس (ريم) على (الشيزلونج) تستمع إلى المطربة (ليلي مراد) في هيام، وعندما تغنت قائلة (أما أنا مهما جرى، هفضل أصون عهد الهوى وإن غبت يوم ولا سنة، هفضل أنا.. بردو أنا) تنهدت في ارتياح ثم طوقت زراعيها حول جسدها لتحتضن نفسها وبابتسامة مرسومة على وجهها تدندن مع كلمات الأغنية (عندي من أحلام أحلام هفضل أعيشها في خيالي واللي أنت شايفة في عينيا صورة هواك...)

حتى رن هاتفها نظرت إليه نظرة جانبية غير مهتمة حتى وجدت اسم (منير) على شاشة هاتفها فاعتدلت سريعًا في جلستها لتمد يدها توقف (الفونوغراف) وبصوت ناعم هادىء تجيب على المكالمة الواردة:

- ألو.

على الجانب الآخر بصوت هادئ مرتب:

- نايمة؟

- لا صاحية.

- عاملة إيه؟

- تمام، وأنت؟
- تمام، هو إنتِ وراكي حاجة النهارده؟
- ليه بتسأل؟ هو فيه حاجة؟
- لا خالص، بس كنت عايز أقولك لو مش وراكي حاجة النهارده ممكن نتقابل؟

تنتفض من مكانها وقد تغيرت نبرة صوتها ثم اعتدلت مرة أخرى لتجيب بنفس النبرة الهادئة الناعمة:

- لا خالص مش ورايا أي حاجة.
- خلاص هعدي عليكي أخدك، بس أوصفيلي العنوان بالتفصيل.
- ماشي.

أنهى (منير) المكالمة ثم نهض من مكانه ليتجهز إلى مقابلة (ريم)، فاستعد لأخذ حمام دافئ قبل أن يرتدي ملابسه، وبعد دقائق خرج مرتديًا منشفة حول وسطه ومنشفة أخرى يجفف بها شعره، وما إن انتهى تقدم تجاه خزانة ملابسه بحماس ليخرج قميصًا أبيض وبنطال من الجينز وجاكيت، نظر إلى المرآة ثم توقف قليلًا يتأمل ملامحه وكأنه يتعرف على نفسه من أول وجديد، ابتسم ثم أكمل ما يفعله، ارتدى قميصه وبدأ في الدندنة وهو يُحكم إغلاق أساور القميص، وما إن انتهى من ارتداء ملابسه وقف أمام المرآة يتفقد نفسه ثم خرج من غرفته وإذا به

يتوقف لحظة أمام غرفة ذكرياته، نظر إليها في حزن ثم مد يده المرتعشة إلى مقبض الباب، وقبل أن يديره تراجع على الفور إلى الوراء خطوتين، ثم التقط مفاتيحه من على المنضدة الصغير المجاورة لباب الشقة وخرج ضاربًا الباب بقوة وكأنه يُنفِّس فيه عن غضب كامن في نفسه.

تحت منزل ريم:

منير في سيارته منتظرًا (ريم) وبهدوء شديد أشعل سيجارة وبدأ في تشغيل بعض الأغاني لـ (لويس أرمسترونغ) بدأت أنامله تعزف مع النغمات لتنقر نقرات خفيفة مع الإيقاع على المقود ثم خطف نظرة إلى بوابة البناية وعندها تسمرت عيناه تجاه (ريم) والتى خرجت للتو لم تتأخرعليه كثيرًا، تقدمت نحو السيارة بخطوات ثابتة متزنة بكعب حذائها العالي، فتحت باب السيارة واستقلت بجانبه، مازال (منير) يُحدِّق فاغرًا فاه بإعجاب، كانت ترتدي فستانًا أسود قصير يبرز أنوثتها ورقتها كغير عادتها في ارتداء الجينز طوال الوقت، عيناها الواسعتان السوداوان تزينهما بـ (ميكب سموكي) تركت شعرها القصير على سجيته وحقيبة صغيرة لامعة كانت تحملها في يدها، وبهدوء أغلقت باب السيارة ثم نظرت إليه:

- أتأخرت عليك؟

أطلق منير صفارة إعجاب طويلة وهو يتفحص هيأتها، وبابتسامة مداعبًا إياها:

- حضرتك تتأخري براحتك لو عايزة تطلعي تاني وتسبيني للصبح هنا أنا موافق.

ابتسمت وهي تعض شفتها السفلى في خجل لتترك شعرها ينساب حتى يغطي جزءً من وجهها المقابل لجهة (منير)، فتابع حديثه بنفس النبرة:

- آسف بس أنا فعلًا بعاكس، إنتِ جميلة قوي يا ريم.

ريم بخجل وهي تزيح شعرها خلف أذنيها برقة:

- بجد؟!

- آه بجد وجداني كمان، بصي من هنا ورايح مش عايز أشوفك إلا بفستان، مش عايز أشوفك لابسه بنطلون ولا قميص تاني مفهوم.

قهقهت (ريم) برقة ثم أردفت بسعادة:

- طب ممكن بقى تقولي هتوديني فين النهارده؟ وبعدين نشوف موضوع الفستان ده.

- أكيد على مكاننا طبعًا.

- أنت خلاص سميته مكاننا؟

- أكيد.

ثم بدأ التحرك بسيارته في اتجاه الكافيه، وطول الطريق يسترق النظر

إليها في الخفاء وبابتسامة عريضة على شفتيه، بينما (ريم) كانت تتصنع عدم الانتباه إلى نظراته إليها لكنها كانت مكتفية بابتسامة رقيقة من آن لآخر إلى أن وصلا إلى الكافيه.

داخل الكافيه:

جلست (ريم) بابتسامة رقيقة على ثغرها تنظر إلى (منير) باهتمام والذي كان يبادلها تلك النظرات والابتسامات أيضًا ثم سألها في جدية:

- هو إنتِ مرتبطة أو في حد في حياتك؟

تنحنحت (ريم) بجدية مصطنعة ثم أجابت:

- فيه.
- فعلًا؟
- أه فعلًا.

منير بجدية وقد تغيرت ملامحه على الفور وبدأت كلماته متقطعة:

- مين، أقصد يعني هو فين؟ وموجود بجد؟ يعني مش بتهزري؟ مش كده؟
- لا مش بهزر هو فعلًا موجود بجد.
- أصلك مجبتيش سيرته قبل كده، طب اسمه إيه؟

ريم بابتسامة ماكرة:

- نظمي.

قهقه (منير) بانتشاء قائلًا:

- وهو نظمي ده سالت إيده كده خالص؟

قهقت (ريم) ضاحكة، وبنبرة هادئة اقترب منها ليسألها في خفوت:

- طب وهو نظمي ده بيحبك؟

تنهدت بقلة حيلة:

- حاسة إني بحبه أو مرتاحة له، معرفش؟ بس هو إحساس حلو وخلاص.

- بتحبيه ولّا مرتحاله؟ في فرق؟

- هو إحساس ملخبط.

منير بجدية:

- أقولك على حاجة غريبة، تعرفي إنها أول مرة من إمبارح مدخلش أوضة ذكرياتي، ومش عارف إزاي قدرت أعمل كده، أنا تقريبًا كنت طول الوقت آعِد فيها، حاجة غريبة بتحصل لي ومش عايز أفكر هي إيه؟

اكتفت (ريم) بالصمت وابتسامة خفيفة، تستمع إلى كلام (منير) محاولة أن تترك إحساسها يحركها كما طلب منها من قبل، وأن تلغي

عقلها لبعض الوقت تنهدت بحزن ثم نظرت إلى الوردة التي أمامها على الطاولة والتي تحتضنها زهرية صغيرة لا تحمل سواها، مدت يدها لتداعبها برقة، ثم نظرت إلى منير:

- تعرف أنا نفسي في إيه دلوقتي؟

منير بجدية:

- نفسك في إيه؟

- أرقص معاك.

- وأنا كمان نفس الإحساس ملكني، نفسي أرقص معاكي.

همَّ بالوقوف على الفور، فتنظر (ريم) حولها في ارتباك وخجل:

- هنا أكيد مينفعش الناس حوالينا.

- مفيش حاجة اسمها مينفعش، ألغي عقلك قولتلك.

وقف أمامها بجدية ليمد يديه بانحناء بسيط، ثم اقترب منها هامسًا بخفوت وحنان:

- تسمحيلي بالرقصه دي؟

نظرت إلى عينيه لبعض الوقت قبل أن تأخذ قرارها، حتى بدأت رغبتها في الرقص تغلبها، كدُمْية لا تملك من نفسها شيئًا، أغلقت شرفتها عمَّا يدور حولها وكأن العالم حولهما توقف لا يوجد الآن سواهما ونغمات للموسيقار (هاوزر) وتلك المقطوعة الموسيقية الرائعة (لا لا

لاند) الكثير من الشغف، الحب، والكثير من الصمت، فقط ابتسامة متبادلة تحمل ألف كلمة، وراحتها التى نامت بحضن راحتيه، أنفاسه تكاد تخترق وجهها، الهواء يداعب بكل جراءة شعرها الحر، الْتفَّت يده بحنان حول خصرها الصغير، فأقامت له مدينة جديدة مغلقة على قلبه، خَلَّف كل وجع وراء ظهره، ما حدث بالأمس أغلق عليه ألف باب وباب ومضى حيث الإحساس، كل ما أراده في تلك اللحظة أن تطول الموسيقية أكثر حتى لا ينتهي هذا الشغف الرائع.

وانتهت القطعة الموسيقية بالفعل لكن لم ينته هذا العالم بعد، سحبت يديها من راحتيه ببطء وهي تنظر إلى عينيه دون كلام، زفر أنفاسه بارتياح وهو يبتسم، فبادلته تلك الابتسامة وهي تخفض رأسها في خجل، تعود لتجلس مكانها مرة أخرى، (منير) مازال واقفًا يحاول أن يستجمع عقله ويعيد الاتزان إلى نفسه مجددًا، وبابتسامة وِدّية يشير لها بيديه بأنه لا يملك في ما حدث شيئًا إنه الإحساس فقط، ثم جلس محاولًا استنشاق بعض الهواء ليزفره على مَهَل، كلاهما اكتفى بالصمت نظرات طويلة بينهما حتى قاطعهما النادل:

- حضراتكم تطلبوا حاجة؟

ثم نظر كلاهما لبعضهما ليبدآ في الضحك عاليًا حتى تعجب النادل من رد فعلهما ثم تراجع إلى الوراء بعض الخطوات واعتذر منهما ورحل.

نظرت (ريم) إلى (منير) ثم أردفت بحماس مبالغ:

- نفسي آكل أيس كريم مانجة قوي.
- طب إيه رأيك أعزمك على أيس كريم ليمون أنا متأكد أنه هيعجبك قوي بس مش هنا.

ريم بتعجب:

- أمال فين؟

نهض (منير) بحماس شديد:

- يلا بينا.

مد يده ليمسك يدها وكطفل متهور مجنون جعلها تنهض من مكانها، ثم جرها خلفه بخطوات سريعة خارج الكافيه، حاولت (ريم) أن توقفه متعجبة:

- منير أستنا، طب أفهم أنت رايح فين دلوقتي؟.

منير بنظرة خاطفة جادة لعينيها:

- إنتِ مش عايزة تاكلي أيس كريم هأكلك أجمل أيس كريم أكلتيه في حياتك، وبعد كده مش قولتلك معايا ألغي عقلك، ينفع؟

أومأت برأسها بالموافقة مصحوبة بابتسامة رقيقة على وجهها حتى وصل للسيارة خارج الكافيه.

*****

الفصل الثاني عشر

وقف (منير) أسفل بيت (ريم) بعد الانتهاء من سهرتهما معًا، عيناه تُحدِّق في مدى الطريق أمامه بلا تركيز، ينقر بأصابعه على المقود يبحث عن كلمات مناسبة لإنهاء هذا اليوم، تنهد بشدة ساندًا رأسه على المقعد قليلًا بذهنٍ شارد بعض الشيء، حاولت (ريم) أن تكسر هذا الصمت فأمسكت بحقيبتها (البرتوفيه) تستعد إلى الترجل من السيارة ماسكة المقبض بيدها في تردد كأنها كانت تنتظر أن يطلب منها المكوث قليلًا في حضرته، ثم نظرت إليه بابتسامة صغيرة:

- طيب، أقولك تصبح على خير.

أمسك (منير) يدها برفق ثم أردف راجيًا:

- مش عايزك تنزلي.

حاولت (ريم) سحب يدها من يده في بطء فهذا ما أرادت أن تسمعه، وهي أن تبقى ولو لقليل من الوقت، ثم ابتسمت متصنعة عدم أخذ كلامه بجدية، لكن (منير) أردف بنفس النبرة الجادة قائلًا:

- مش بهزر أنا عايزك تفضلي معايا، مش عايزك تسيبيني وتنزلي.

- مقدرش، لازم أمشي.

- بس أنا عايزك معايا فعلًا.

نظرت (ريم) إلي عينيه والتي كانتا تلمعان ثم أردفت بحزن:

- تصبح على خير.

- استني من فضلك متنزليش، أنا حاسس إن في كلام كتير محتاج أقوله.

لم تهتم بل تصنعت عدم الإنصات لكلامه وبنبرة جادة بعض الشيء أردفت له:

- تصبح على خير.

ثم تَرجَّلت من السيارة دون النظر إليه خِشية أن تضعف أمام عينيه، وقفت أمام المصعد الكهربائي لتجده معلقًا بأحد الأدوار العالية فقامت باستدعائه وفي تلك اللحظات نظرت إلى (منير) مبتسمة ثم لوحت له مودعة قبل أن تدلف داخل المصعد في أسى. ظل (منير) واقفًا بسيارته بعض الوقت يحاول فيها أن يستجمع ما حدث بداية من رؤيتها إلى تلك اللحظة التي يقتله فيها شوْقه إليها، لأول مرة يخفق قلبه بعد رحيل (كاميليا)، لمعت عيناه شوقًا لـ (ريم) متمنيًا أن يصعد خلفها ليوقفها أمامه وينظر إلى عينيها ويخبرها أنه بالفعل قد أحبها، انتظر بعض الوقت محاولًا أن يتمهل على مشاعره قليلًا، وبعد وقت طويل تحرك بسيارته بعد أن فقد الأمل في عودتها مرة أخرى، لكن ريم ظلت تراقبه من خلف

نافذتها بقلب مهزوم مهموم معذب، هي أيضًا تمنت ألا تذهب، تمنت أن يتوقف الوقت، أن تهزم رغبتها في التفكير، تمنت أن تعود لكي ترتمي في أحضانه لتخبره بأنها حقًا أحبته، وبخطوات بطيئة مهزومة اتجهت نحو غرفتها؟ مدت يدها خلف ظهرها لكى تفتح سحَّاب فستانها ببطء، ثم التقطته بعد أن سقط من على خصرها لأسفل قدميها، لتركنه جانبًا على مقعد صغير بزاوية الغرفة بجوار حقيبتها الصغيرة، ارتمت على سريرها ثم تدثرت بغطائها دون أن ترتدي شيئًا، أو تقوم بمسح الميكب عن وجهها برغم شتاء ديسمبر القارص إلا أنها شعرت بدفء قلبها الكافي، ونامت كطفلة لا تفكر في شيء قط، تلك المرة الأولى التي تنام فيها سريعًا بمجرد وضع رأسها على وسادتها.

منزل منير:

دخل منير من باب شقته ثم ألقى بمفاتيحه على تلك الطاولة الصغيرة، ثم اتجه إلى غرفته دون الالتفات إلى غرفة ذكرياته كأنها لم تكن في حياته من الأساس، اكتفى بخلع حذائه فقط، ثم مدد جسده على السرير ينظر إلى سقف غرفته في شرود متذكرًا عينيها، همسها، ضحكتها، كل شيء، ابتسم ثم احتضن وسادته ونام سريعًا ولأول مرة منذ شهور ينام (منير) دون أن يشرب أو أن تدمع عيناه من اشتياقه إلى حبيبته (كاميليا).

صباح اليوم التالي:

استيقظت (ريم) على رنة هاتفها فمدت يدها من تحت غطائها لتبحث عنه على (الكمود) كعادتها، لكنها لم تجده، فحاولت أن تفتح جفنيها ببطء فمازال النعاس يغلبها، فنهضت من على سريرها متدثرة بغطائها الملتف حول جسدها العاري محاولة تتبع رنة الهاتف بتركيز شديد، لتجده مازال في (البرتوفيه) الملقى بآخر الغرفة على المقعد، فوجدت الشاشة تضيء باسم (منير) وبابتسامة عفوية على ثغرها أجابت بعد أن جلست على حافة السرير بدلال، ماسكة بيدها الأخرى غطاءها لتحكمه حتى لا يسقط من على جسدها.

وبصوت ناعس:

- ألو.
- صباح الخير.
- صباح النور.
- لسه نايمة؟
- لا خالص.

منير ضاحكًا:

- لا واضح، المهم عايزك تقومي وتفوقي كده وتشربي قهوتك وتلبسي، علشان عندي ليكي مفاجأة.
- مفاجأة إيه؟
- وهو أنا لو قولتها لك هتبقى إزاي مفاجأة؟

ريم بابتسامة وحماس:

- ماشي هجهز وأرن عليك.

ثم أنهت المكالمة لتعض شفتيها السفلى بسعادة في عينيها فنهضت سريعًا لتجهز نفسها لمقابلته.

*****

الفصل الثالث عشر

وقف (منير) بسيارته أمام مسرح آخر طالبًا من (ريم) أن تترَجّل من السيارة بعد أن قام بفتح الباب المقابل لها.

- اتفضلي يا ستي.

عقدت (ريم) حاجبيها بتعجب وهي تنظر حولها محاولة منها استكشاف المكان في بطء ثم أردفت في فضول وتعجب:

- أنا مش فاهمة أنت جايبني هنا ليه؟

- مش إنتِ قولتي نفسك ترسمي على مساحة واسعة، أهو قدامك المسرح ارسمي في أي حتة تعجبك وكمان جبتلك كل الألوان اللي هتحتاجيها، بس يارب ما أكون نسيت حاجة، هي ألوان إسبراي مش كده؟

أشارت (ريم) رأسها بالإيجاب ثم ابتسمت بخفة وهي تلتف حول نفسها في حماس ثم زمت شفتيها بتركيز وحيرة وهي تحاول البحث عن مكان لكي تبدأ منه الرسم إلى أن وقعت عيناها على المكان المناسب لها، بينما (منير) كان واقفًا عاقدًا زراعيه وهو يتابع تصرفاتها باهتمام، سعيدًا بتلك الطفلة التي تسكنها، ثم نظرت (ريم) إليه متسائلة:

- هو إيه المكان ده؟

- ده يا ستي مسرح كنا المفروض أننا بندرب فيه، لكن محتاج شوية صيانة فقولنا ندرب في المسرح بتاعكم لحد ما الصيانة هنا تخلص، فخدي راحتك خالص.

ثم وقع نظرها على سلم قريب في الوقت الذي تركها فيه (منير) ليذهب لإحضار الألوان من حقيبة السيارة، فأخذت السلم لتسنده على الحائط الذي اختارته للرسم، ثم تناولت الألوان من (منير) وشكرته بابتسامة لطيفة، تناولت أول لون لتصعد على السلم فأغمضت عينيها بسعادة وشغف، وبدأت في الرسم بتركيز شديد، ظل منير واقفًا يترقبها، ثم نادى عليها بجدية:

- على فكرة نظمي فعلًا بيحبك.

لتتوقف (ريم) عن الرسم وببطء متناغم تنظر إليه في صدمة فأغمض عينيه وبابتسامة أشار برأسه بـ (نعم). مازالت (ريم) في حالة من الصدمة حتى ظلت تحملق فيه بعينين متسعتين وهي تنزل من السلم ببطء شديد إلى أن وقفت أمامه، ثم نظر إلى عينيها فى شوْق، فهمس لها بصوت رجولي دافيء:

- بحبك.

تسارعت أنفاسها لتصبح غير منتظمة ثم أردفت وهى تتأمل عينيه

بصوت مهزوز مرتعش:

- أنت قولت إيه؟

منير بنفس النبرة قائلًا لها:

- بقولك بحبك، سمعتيها؟ بحبك قوي، وحاسس إني بتولد من جديد معاكي.

شعرت (ريم) بضربات قلبها تتسارع وبصوت ناعم خافت راجية إياه:

- أوعدني إن عمرك ما هتسبني.
- طب هو في حد بيسيب روحه.
- أوعدني إنك عمرك ما هتجرحني.
- مقدرش، إنتِ أحلى حاجة حصلت لي في حياتي، مينفهش أجرحك.
- أوعدني إن مهما حصل تفضل جنبي.
- أوعدك إني عمري ما هبعد عنك.
- والماضي؟
- كله انتهى من يوم ما دخلتي حياتي.
- أنا كمان بحبك... قوي.

- قد إيه؟
- قد كل حاجة حلوة في الدنيا بحبك.
- أوعي في يوم تبعدي وتسبيني.
- مينفعش، أنت بالنسبالي الحياة لو بعدت عني أموت.

شعرت (ريم) برغبة ملحة في عناقه والارتماء بين أحضانه، لم يكن يتصور يومًا بأن لحزنه نهاية، ولأن لكل شيء نهاية؛ الحزن، الشغف، الكلام، الاهتمام، الاشتياق، والحب أيضًا له نهاية كل شيء سيأتي له يوم وينتهي ولن يتبقى منه سوى صمت كصمت مدينة هجَرها أهلها مُرغَمين، تركوها تحترق ولم يُسمع منها سوى حفيف الريح وبعض طقطقة من بقايا الاحتراق. النهاية موت يسبقها انهزام، انكسار، واستسلام، إحساسك بأنك غير كافي حقًا قاتل، قاتل إلى أبعد حد.

ولأن الشاعر (محمود درويش) كان على علم بالنهايات فكتب ذات يوم: (لا أريد من الحب غيرالبداية).

لا أريد من الحب غير البداية.

منزل ريم:

ريم مستلقية على سريرها تعاني من حالة إعياء شديدة وغير قادرة

على النهوض، جسدها يتصبب عرقًا، وحرارتها وصلت (٤٠)، رن هاتفها فأجابت على الفورعندما أضاءت الشاشة باسم (منير) فردت عليه بضعف مرتجف:

- ألو.

- وحشتيني.

بدا صوتها لـ (منير) متعبًا للغاية وبقلق متسائلًا:

- مالك؟

- حاسة إني تعبانة قوي ومش قادرة أقوم من مكاني.

فبدأ صوتها يختنق شيئًا فشيئًا إلى أن اختنق من بكائها، فهَمَّ بالوقوف وهو يهدئها بصوت حنون:

- طب ممكن تهدي شوية، أنا جايلك حالًا.

ثم أخذ مفاتيحه لينزل مسرعًا في عجلة من أمره قاصدًا بيت (ريم)، وعند الاقتراب من باب شقتها قام بالاتصال بها لكي يخبرها أنه بالفعل قد أتى وأن عليها أن تفتح له الباب، لكنها تأخرت بعض الوقت، وما إن وصلت إلى الباب وفتحت له وجدها شاحبة الوجه وقد بلغ الوهن مبلغه وما إن رأته أمامها حتى خرت مغشيًا عليها، لكن يد (منير) كانت أقرب إليها من الأرض فمد يده لينتشلها ثم ضمها إلى صدره، ليحملها بين يديه ثم أغلق الباب بركلة بسيطة من إحدى قدميه، فخمن

وجود غرفتها في آخر رواق طويل، ثم وضعها بلطف على سريرها ودثرها بالغطاء جيدًا، فاستشعر تلك السخونة في جسدها عندما كانت بين ذراعيه، نظر إليها في قلق وهو يلهث هلعًا وقلقًا عليها، فتذكر بأن يجب عليه وضع الكمادات الباردة على رأسها فذهب مسرعًا في باقي الشقة يبحث عن مكان المطبخ، لكنه لم يبحث كثيرًا فكان الأقرب إلى غرفة (ريم)، أمسك طبقًا كبيرًا بعض الشيء وملأه بالماء البارد وحمله بيده واتجه على الفور بجانب سريرها بعد أن سحب منشفة كانت على إحدى الزوايا بالسرير، وبدأ في عمل الكمادات في توتر وانفعال ثم أخرج هاتفه من جيبه وقام بالاتصال بالطبيب وحدثه راجيًا أن يحضر على الفور، وما أن أنهى المكالمة بصوته المرتعش وضع يديه على جبينها وهو يزم على شفتيه في قلق فمازالت (ريم) غائبة عن الوعي.

بعد انتهاء الطبيب من الكشف نظر إلى منير الذي كان عاقدًا ذراعيه في قلق ثم أخرج قلم وكتب روشته وأعطاها لـ (منير) وقبل أن يتناولها أردف في اهتمام مبالغ:

- خير يا دكتور مالها؟

- نزلة شعبية حادة، أنا كتبت لها حقن فيتامينات وخافض للحرارة، وياريت تشرب حاجات دافية.

- شكرًا يا دكتور.

حاول (منير) التعامل مع الأمر برغم قلقه الشديد وارتباكه، وعدم تعرضه لموقف مثل هذا من قبل، جلس طوال الليل بجانبها على المقعد يتأمل ملامحها تارة وتارة أخرى يلمس جبينها يراقب انخفاض الحرارة حتى لمح إسكتش على (الكمود) بجوار سريرها فأمسكه في فضول يتفقد محتواه باهتمام، فوجد بعض شخابيط رسم معظمها كانت له في مواقف مختلفة، إحدى الشخابيط كانت له وهو يغني فوق المسرح وأخرى وهو يدخن سيجارة، أغلق الـ (إسكتش) وابتسم بخفة ثم أعادها مكانها مرة أخرى، فانتبه إلى همهمة غير مفهومة من (ريم) فنهض من مقعده سريعًا كي يتفقدها ثم أردف بخفوت:

- ريم، ريم إنتِ كويسة؟

بدأت تفتح عينيها شيئًا فشيئًا وهي تنظر إلى (منير)، تحاول أن تتذكر ما حدث، ابتسم (منير) بعد أخذ شهيقًا ثم زفر عاليًا:

- خضتيني عليكي.

بابتسامة جانبية متعبة تربّت بيديها على يديه دون كلام فمازال الوهن يغلب عليها ثم غامت بعينيها مرة أخرى، مد (منير) يده ليحكم غطاءها عليها جيدًا وتركها في إغفائتها وخرج يبحث عن مكان يريح

فيه جسده المرهق إلى الصباح، فتفاجأ بركنها الخاص متفقدًا الأسطونات في اهتمام وركن المكتبة ثم جلس على (الشيزلونج) ليضم نفسه بيده إلى أن غلبه النوم.

*****

الفصل الرابع عشر

بعد ساعتين استيقظ (منير) من غفلته على (الشيزلونج) فنهض في فزع ليجري كالمجنون في قلق كي يتفقد (ريم) ليجدها مازالت غارقة في النوم، فاقترب منها ليلمس جبينها فوجد بأن حرارتها معتدلة بالفعل فنادى عليها مرتين بخفوت، لكنها لم تجب عليه فتركها في سُباتها وخرج لكي يشرب سيجارة لكنه وجد بأن عُلبة السجائر قد أوشكت على الانتهاء فلا يوجد غير سيجارة واحدة فقط، فَهَمَّ يبحث عن مفاتيح لباب الشقة لكى ينزل يشتري عُلبة سجائر وبعض الأغراض الأخرى وعند عودته لا يقلقها، فوجد المفاتيح بقرب باب شقتها معلقة على تابلوه خاص بالمفاتيح والأوراق فأخذها وخرج بهدوء شديد، بعد دقائق فتحت (ريم) عينيها لتجد بأنها لوحدها في الغرفة، حاولت أن تستند لتجلس على حافة السرير بعض الوقت حتى تسترد اتزانها قليلًا، ثم خرجت لتتفقد باقي الشقة باحثة عن (منير)، ظنت أنه قد يكون خرج ولن يعود الآن، فنزعت ملابسها لتدخل حمامها لأخذ حمام دافئ، وما إن انتهت ارتدت الروب الخاص بها وخرجت، فتحت خزانة ملابسها لتُخْرج قميصًا أخضرقصير وبيجامة نوم، ثم نزعت عنها الروب ليسقط أرضًا وارتدت القميص الأخضر الذي التصق بجسدها الرطب وشعرها

المبلل وبعض من الخصلات التي انسدلت على وجهها، في ذلك الوقت دخل (منير) من باب الشقة ليغلقه بهدوء ظنًا منه أنها مازالت نائمة ولا يريد أن يزعجها، فدخل ماشيًا على أطراف أصابعه إلى غرفتها ليطمئن عليها، فوجدها أمامه وقد تفاجأت (ريم) به واقفًا أمامها فشهقت فاغرة فاها بصدمة وقف (منير) محدقًا بصدمة؛ فما حدث كان كفيلًا أن يشل حركته كليًا، ثم استدار بظهره في ارتباك وخرج مسرعًا وهو يتمتم في اعتذار متأسفًا ثم أخذ نفسًا عميقًا حبسه في صدره فترة ثم زفره بقوة بعد أن أنزوى في ركن (ريم) الخاص، وحتى بدأت ملامحه تسترخي قليلًا لكن صورة (ريم) مازالت عالقة أمامه، وذلك القميص الملتصق بجسدها الكاشف عما تحته وملامحها الطفولية المتعبة إلا أنها كانت مثيرة جدًا، وبغضب ونفاد صبر اقترب من النافذة ليقوم بفتحها إلى آخرها بعصبية محاولًا استنشاق هواء بارد؛ لعل برودة الجو تسري في جسده كي تنسيه ما قد رآه، ثم فتح عُلبة السجائر في غضب مكتوم وأشعل واحدة وهو يتمتم مع نفسه بحنق.

أخذت (ريم) ملابسها من على سريرها بسرعة لتقوم بارتدائها فمازالت غير مدركة بعد ما حدث لتتمتم وتسب في نفسها بعتاب، وبعد قليل تمالكت نفسها لكي تخرج إلى (منير) فوقفت أمام المرآة وقامت بأخذ الشهيق والزفير عدة مرات متتالية لكي تستحضر ثقتها في نفسها حتى تواجه (منير) بكل ثقة وكأن شيئًا لم يحدث.

بخطوات ثقيلة مهزوزة متعبة خرجت من غرفتها تستكشف مكان انبعاث رائحة دخان السجائر والتى دلتها على ركنها الخاص، دخلت عليه بارتباك وهي تعصر كفيها ببعضهما، فتنحنت بخجل لكى تلفت انتباهه بوجودها، فالتفت على الفور ناحيتها وقد تفاجأ بوجودها فأردف بابتسامة خفيفة:

- عاملة إيه دلوقتي؟

اقتربت لتقف بجانبه محاولة استنشاق بعض الهواء وهى ترجع بعض الخصلات خلف أذنها ثم ابتسمت بخجل:

- أحسن، الحمد لله.

ثم أشار بيده متذكرًا:

- أنا جبت فطار على فكرة، ثواني هروح أجهزه نفطر سوا علشان لازم تاخدي علاجك.

- لا ماليش نفس دلوقتي.

- قولتلك علشان العلاج وبعد كده مينفعش توقفي في الشباك وإنتِ لسه طالعة من الحمام كده ممكن تتعبي أكثر.

ثم مد يده ليغلق الشرفة فتراجعت (ريم) خطوة إلى الوراء لكي يحكم إغلاق النافذة كليًا، فالتفت (منير) إليها في عفوية لتلتقي أعينهما معًا، متذكرًا ما حدث منذ قليل وتلك الرغبة الجياشة التي تدفعه للاقتراب

وتدفعها لعدم المقاومة، فاقترب أكثر وهو يُحدِّق في عينيها بحب واستسلام فرفع يده ليزيح تلك الخصلة التى انسابت على خديها ثم نظر إلى شفتيها المرتعشة وهو يلمسها بإبهامه في رقة، شعر بأنفاسها المرتجفة كباقي جسدها تكاد تلمس شفتيه، فجذبها نحوه واقترب منها ليلتهم شفتيها بقبلة هادئة رقيقة، لم تحاول أن تمنعه أو تمنع نفسها من ذلك بل أرادت أن يمتلكها بقلبها وجسدها، لم تفكر في شيء سواه أغمضا أعينهما وتركا أنفسهما لتلك الرغبة الجامحة لكليهما.

بعد وقت:

وقف (منير) بجانب الشرفة يتطلع إلى آخر الشارع بفكر شارد، كان يدخن سيجارته بهدوء شديد فتأتي (ريم) لتقف بجانبه بقميصها الأخضر القصير، فيلتفت إليها ثم وضع يديه على خصرها ليقربها منه بابتسامة هادئه ثم اقترب منها ليقبلها على جبينها بحنان، نظر إلى عينيها بعد أن أطفأ السيجارة التى كانت بإحدى يديه ثم ضمها إلى صدره وهو يمسح على شعرها بحنان، باعدها عنه قليلًا لينظر إلى عينيها ثم أردف بخفوت معتذرًا:

- أنا آسف يا ريم، معرفش ده حصل إزاي صدقيني.

بادلته (ريم) تلك النظرة ثم ابتسمت إليه ابتسامة صغيرة واهية دون

كلام فمازال جسدها ينتفض، تحاول أن تتمالك نفسها لتجعل الأمر كأنه لم يكن من الأساس، لكن (منير) كان على علم بما تشعر به وما يدور في داخلها من خوف وكبرياء وتأنيب نفس ثم همس لها بحنان وطمأنينة:

- ريم أنا بحبك وعمري ما هقدر استغنى عنك إنتِ مش بس حبيبتي إنتِ مراتي وحبيبتي وعشيقتي ولو عايزة نتجوز دلوقتي أنا موافق، وهنزل حالًا أجيب المأذون لو قولتي موافقة.

قطعت (ريم) حديثه بهدوء مصطنع يعكس ما بداخلها:

- منير، خلاص متفكرش في أي حاجة غير أننا مع بعض وإني دلوقتي في حضنك، منير أنا كمان بحب ومينفعش أعيش من غيرك، بس أوعدني إنك عمرك ما هتسبني علشان أنا مينفعش أعيش من غيرك.

بدأ صوت (ريم) يختنق ولمعت عيناها بالدموع فأخذها ليضمها إلى صدره بقوة وهو يردف:

- قولتلك مقدرش أبعد عنك فهمتى، محدش يقدر يسيب روحه وأنتِ روحي يا ريم فهمتي.

تشهق بين أحضانه باكية بخفوت، لم يشغل بالها ما حدث بقدر خوفها من أن يبتعد عنها ويتركها تواجه العالم بعده، بعد أن أصبح هو كل شيء في حياتها، أصبح الرفيق والونيس والحبيب والأب، أصبح

حضنه هو المأوى الذي يضمها في لحظات احتياجها للراحة من كل ما يدور في عالمها فقد أصبح لها هو (الحياة) بِرُمتها.

*****

الفصل الخامس عشر

بداية النهاية

بعد ثلاثة شهور:

جلست (ريم) في الأتّليه بذهن شارد مهموم، لم تهتم كثيرًا بالتابلوه الذي أمامها، تنهدت بضيق ثم أمسكت هاتفها لتقوم بالاتصال بـ (منير) الغائب منذ أسبوع تقريبًا لم تعرف عنه شيئًا، لكنه لم يجب فبدأ القلق والحزن يغلبها أكثر، فألقت فرشاة الرسم بقوة وهى تزفر عاليًا ثم أردفت بحنق:

- أنا رايحة البوفيه، محتاجة أشرب حاجة.

نظرت (زينب) إليها متعجبة لما يحدث لها، تصرفاتها التي أصبحت غريبة ونفاد صبرها الدائم كغير العادة لتسألها في قلق:

- ريم هو في إيه؟ مالك حاسه إنك متغيرة؟

تتنهد (ريم) محاولة زفر الضيق الذي بداخلها:

- مخنوقة شوية يا زينب.

- هو إنتِ ومنير متخاصمين؟

تنتبه (ريم) لكلام (زينب) فترفع إحدى حاجبيها بتعجب متسائلة:

- ليه بتقولي كده؟

- أصلك بقالك فترة سرحانة، غير إني شيفاكم مبتتكلموش مع بعض كتير من ساعة ما انتهى عقده في المسرح هنا وهو مبقاش يجي يستناكي زي الأول غير إنك بقالك فترة مبتكلميش عنه.

تنهدت (ريم) بحزن ثم أردفت بخفوت:

- ماليش نفس أتكلم خالص يا زينب في أي حاجة.

فرن هاتفها لتنظر إلى الشاشة لتجد (منير) فتجيب بلهفة على الفور:

- منير أنتَ فين؟

- معلش مشغول شوية يا ريم.

بدأ صوتها يرتعش وعيناها تدمع وهى تعاتبه:

- عارف بتصل بيك من إمتى؟ بجد قلقتني عليك، طب أنتَ كويس؟

- فل.

- طب كنت فين ده كله؟

- آسف يا ريم كنت مسافر مع عصام وكنا مقررين إننا نقفل موبايلاتنا.

- طب وأنا؟ أقل حاجة كنت طمنتني عليك بدل الحالة اللي كنت فيها دي.

- موضوع السفر جه كده على طول من غير أي ترتيب صدقيني.
- منير مالك حاسة أنك مخبي عليا حاجة؟.

على الجانب الآخر من المكالمة منير بضحكة مصطنعة:

- حاجة إيه بس؟ كنا محتاجين نفصل شوية عن الشغل دي الحكاية.

زمت (ريم) شفتيها باستسلام:

- المهم عندي أنك بخير.

ثم أنهت المكالمة بضيق وحزن تخفيه خلف ملامحها، لتعود مرة أخرى إلى التابلوه فتبدأ في رسم ولد صغير يمسك ببالونة في إحدى يديه، وينظر إليها وهى ترتفع عاليًا، ملامح الطفل تبدو حزينة وكأنها تعكس ما بداخلها وما تحاول أن تخفيه عن الجميع انعكس في ملامح الطفل الصغير، انهمكت في التابلوه ولم تفكر في شيء سوى (منير) وهذا التغيير الذي بدأ تدريجيًا معه كأنه يخفي شيئًا عنها، انتهت من اللوحة في وقت قياسي لتلتفت خلفها فتجد (حسن) واقفًا يترقبها في اهتمام وتركيز، لتُلقي سؤالها عليه ليخبرها بمدى روعة اللوحة.

تلك كانت المرة الأولى التي التقت فيها بـ (حسن) لم تعطِ له أي اهتمام فمازالت شاردة الذهن يكسوها الهم، ارتدت حقيبتها (الكروس) بجدية وخرجت من الأتّليه دون أن تتفوه بكلمة لكن (حسن) ظل يتابعها بنظراته إلى أن خرجت من باب الأتّليه، ثم نظر إلى زينب

بابتسامة صغيرة:

- مساء الخير.

زينب بابتسامة متبادلة:

- مساء النور، أنت جديد هنا مش كده؟

أشار لها برأسه بـ (نعم) فمازالت عيناه معلقة ثابتة على التابلوه الخاص بـ (ريم) بشغف كبير ثم أردف بهدوء:

- شغلها حلو قوي صاحبتك.

أجابت (زينب) على الفور:

- ريم.

ابتسم عندما علم باسمها، فقد ألقى بجملته لـ (زينب) بمكر شديد كي يتعرف على اسمها، فنظر حوله في ارتباك ليبحث عن مكان قريب حتى يكون بجانب تلك المجنونة التي لم تعره أى اهتمام، فأسرع كطفل في الابتدائي يحجز الديسك الأول بجانب صديقته التي لم يلتقِ بها إلا اليوم فقط لكنه شعر برغبة عارمة في الاقتراب من عالمها، وعندما عجز عن إيجاد مكان لجأ إلى (زينب) وبصوت هادئ وابتسامة واسعة:

- هو أنا ينفع أقعد جنبكم؟ أقصد مفيش مشاكل ولا حاجة من صاحبتك اللي كانت موجوده هنا؟.

زينب بضحكة عالية على كلامه:

- لا خالص إحنا مش في مدرسة اللي بيسابق يقعد الأول.

قهقه (حسن) وهو يتناول مقعدًا واستند ليجلس على مقربة من مقعد (ريم) واضعًا الألوان خاصته وأغراضه وكأنه بالفعل استقر نهائيًا في هذا المكان.

يوم آخر كباقي أيام الغياب:

كانت (ريم) تمشي بخطوات ثقيلة تنظر حولها كأنها تحفظ الشوارع لأول مرة، لكن نظرتها لكل شيء بلا اهتمام نظرة إلى اللا شيء عادت لترتدي الجينز مرة أخرى، أصبحت غير مهتمة بما سترتديه جينز كان أم فستان، همشت طلب (منير) عندما قال لها ذات يوم:

- (مش عايز أشوفك لابسة جينز تاني)

لا تهتم كثيرًا إن غاب عنها في الاتصال أو تذكرها، فكل شيء أصبح عاديًا حزينًا، مكسورًا، خائفًا، تشعر بالضعف في أغلب الأوقات، رغبتها في الصراخ، وقهوتها التي أصبحت مُرة بدونه، تسأل نفسها في كل لحظة:

- (وهل حقًا البدايات هي الأجمل؟ إذًا لماذا هي كذلك؟ وأي تقصير حدث مني إليه؟ وهل الاقتراب الزائد هو من جعل كل شيء ينتهي بتلك الصورة المؤلمة، سلمت إليه قلبي قبل جسدي فهل يكون هذا سببًا كافيًا للابتعاد؟

آه، يا إلهى!! أشعر اليوم بأنني رخيصة كأي فتاة في ملهى ليلي اختارت أن تبيع جسدها مقابل المال، أي شيء يفرق بيني بينهن، هن بِعْن من أجل المال وأنا من أجل الحب؟ فماذا سيحدث إن ابتعد حقًا؟

لا لن يبتعد، هل تتذكرين، هو أخبرني كثيرًا وقالها لي مرارًا وتكرارًا بأنه لن يبتعد لقد وعدني بذلك، نعم أنه وعدني؟)

ظلت التساؤلات والظنون تنهش في أعصابها، فوجدت أقدامها تأخذها اليوم لتتمشى بجانب الكافيه الذي كان يجلس فيه (منير) قديمًا، أو ما يُسمي بكافيه الذكريات، كغرفة ذكرياته مع (كاميليا) التي أخبرها ذات يوم بأنه أحرق كل ما فيها من صور وذكريات وأصبحت فارغة تمامًا من أي ذكرى لهما معًا. وقفت مصدومة عندما تفاجأت بسيارة (منير) واقفة أمام الكافيه، وبدون تردد منها دلفت إلى الداخل كالمجنونة بعصبية شديدة ثم توقفت للحظة، خشيت من مواجهة الحقيقة، أنه بالفعل مازال يحن إليها، مازال يشتاق إلى كل شيء يذكره بها.

- إذًا كيف سيكون الغد بدونه؟

ذلك هو السؤال الذي رددته بداخلها في كل خطوة خطتها وهي تقترب إلى الطاولة التي يجلس عليها (منير)، تقدمت (ريم) بخُطى ثقيلة ودقات قلبها المتسارعة وجسدها الذي يرتجف، لتراه من بعيد شارد

الذهن يرتشف قهوته وبيده الأخرى سيجارته وهو يتطلع إلى الدخان الذي يذوب كلما صعد إلى السماء، تقدمت (ريم) ببطء ككل شيء حولها يسير في بطء، أنفاسها تلهث برجفة حد الاختناق، لم ينتبه إليها أمامه في البداية وما إن وقعت عيناه عليها لم يهتم إن كان هذا الشيء سوف يغضبها أم لا، اكتفى أن يخلق عذرًا أشبه بكذب الأطفال وهو يبتسم باصفرار.

جلست (ريم) على حافة المقعد المقابل له، احتضنت حقيبتها بشدة في أسى وضجر؛ محاولة إخفاء رعشة يديها وكتم دقات قلبها المتسارعة العالية، حتى كاد (منير) أن يسمعها، كلماتها متلعثمة حبيسة داخل حلقها الجاف، ثم أردفت بعد وقت بصوت مختنق:

- كاميليا وحشتك.. مش كده؟

عقد (منير) حاجبيه بغضب وحدة:

- إيه اللي إنتِ بتقوليه ده؟ قولتلك قبل كده مِيت مرة متفكريش يا ريم، ألغي عقلك، ألغي عقلك ينفع.

عصبيته ورده كانتا دليلين قويين بأن ما قالته (ريم) كان بالفعل صحيحًا، لكنه كان رافضًا أن يتعرى أمام نفسه وأنه بالفعل مازال يحن إلى (كاميليا) رغم ذلك، ورغم ما قدمته (ريم) من أجل حبه.

لم يهتم كثيرًا إذا كانت كلماته جرحت (ريم) أم لا، أصبح لا شيء

يهمه، فهو أحيانًا أخرى يحتار في أمر نفسه متسائلًا:-

- (ماذا أريد؟ أنا لا أصلح لشيء سوى أن أكون مسخًا)

ريم بهدوء مصطنع وغضب عارم خلف ابتسامة واهية ودموع متحجرة في مقلتيها وعلى وشك الانفجار وبصوت هامس ضعيف:-

- كل مرة كنت بتكلمني فيها كنت بحس أنها وسطينا، كل لمسة كنت بتلمسهاني بحس إنها مش ليا أنا، كنت عارفة إنك لسه بتحبها ومع ذلك قبلت أكون جنبك ومعاك، فاكر لما قولتلك أنك أنت بالنسبالي الحياة، لو بعدت عني في يوم أموت، أنا لسه بقولهالك يا منير، لو بعدت عني هموت.

لم يحاول (منير) حتى النظر إليها بل نَكَس رأسه في ضيق وهو يجز على أسنانه بغضب، ثم تابعت (ريم) حديثها قائلة:

- - على العموم أنا ماشية ولما تحب أننا نتكلم أنا موجودة.

رفع (منير) رأسه وهو يُحدِّق فيها بصرامة وحدة قائلًا بلهجة جافة:

- = كفاية بقى من فضلك كفاية، إنتِ بتضغطي عليا بغيرتك وباهتمامك وخوفك عليا اللي ملهوش أى لزمة، كفاية أنا تعبت.

نظرت (ريم) إليه بصدمة، لم تستوعب بعد ما قاله (منير) لها، علت أنفاسها المرتعشة بشدة، شعرت للحظة بأنها تختنق تُحدِّق فيه كأنها لأول مرة تراه، حاولت أن تتنهد لكن الأمر كان صعبًا، فنهضت بهدوء ثم

أردفت بجمود:

- – اللي باعك مرة قادر يبيعك ألف مرة، فهمت؟

لتتركه وتمشي بعد أن جمعت غضبها وتقَّست عما بداخلها بكلماتها له والتي كانت بمثابة مرآة وضعتها أمام عينيه بعد أن طعنته بخنجر الحقيقة المرة التي لم يصدقها بعد.

خرجت (ريم) من الكافيه وهي تضع يديها على عينيها خشية أن يرى أحدًا دموعها، تحاول أن تكفكفها لكن دون جدوى، فقلبها ممزق وكبرياؤها قد كُسِر ككل شيء بداخلها كُسِر.

((كيف تجرأ وتحدث معي هكذا، قلت لي يومًا بأنك تحب غيرتي وتحب اهتمامي كثيرًا، حتى تفاصيلي الصغيرة كنت تحبها، أين ذهب كل هذا، وهل أستحق منك ذلك؟ كنت ألغي عقلي حقًا معك، كنت أتصنع عدم الاهتمام بكل شيء يحدث من أجل أن أكون معك، فهل وجدت يومًا حبيبًا يرضى بأبسط الأشياء؟ وأنا.. كنت راضية بأي شيء، المهم أن تكون في حياتي، لأنك أنت لى الحياة))

لم يصدق (منير) ما قالته (ريم) له، فقد أثار بالفعل غيظه وغضبه أكثر فزم شفتيه بضيق وهو يطفئ السيجارة، ثم نهض وخرج من الكافيه

وأخذ سيارته ومشى سريعًا دون هدف، يسأل نفسه لماذا غضب عندما أخبرته بذلك (ريم)، هل لأنها الحقيقة التي يرفض الاعتراف بها، نعم مازال يذكرها رغم كل شيء، لم ينتبه من فيهما قد جرح، قلبه هو أم (ريم)؟

*****

الفصل السادس عشر

منزل ريم:

جلست (ريم) على طاولة المطبخ تعد قهوتها على (السبرتايه) في شرود، ثم انتبهت لها قبل أن تفور وبهدوء قامت بصبها في الفنجان ثم تنهدت وهي تنظر إليه قليلًا متأملة (وش القهوة) ثم نهضت على الفور وبغضب لتسكبها في حوض المطبخ ثم اتجهت مسرعة إلى غرفتها، لتقف للحظة في منتصف الغرفة وهى تشهق بضعف ورعشة، ثم سقطت على ركبتيها وهى تصرخ في ضجر، لتدق على الأرض بكلتا يديها كطفلة غاضبة، ثم احتضنت الأرض باكية وهي تتمتم بكلمة واحدة ترددها بحزن (ليه)؟

تحاول أن تصدق ما حدث لها، تركها أسبوعًا دون أي سؤال أو مكالمة، أو حتى اعتذار، كيف له أن ينسى بتلك السهولة كل شيء كان بينهما، وأي قسوة تلك التي سكنت قلبه تجاهها، ثم توقفت للحظة لترفع رأسها المنكسة على الأرض، فمدت يديها لتكفكف دموعها بظهر يدها، ثم أخذت شهيق وزفير عدة مرات متتالية لتمسك هاتفها مترددة في الاتصال بـ (منير)، بدأت يداها ترتعش لتنتفض كل لحظة من أثر البكاء الشديد، ولكنها أخيرًا أخذت قرارها بالاتصال تاركة كرامتها

التي كُسرت، وقلبها الذي تألم جنبًا، ثم أغمضت عينيها باستسلام وأخذت نفسًا عميقًا، وضغطت على الاتصال، فأجاب (منير) على الفور لكنها ترددت في محادثته عند البداية وللحظة رغبت في إغلاق الهاتف، لكنها تحدثت بصوت خافت مرتعش:

- ألو.
- عاملة إيه؟
- تمام، وأنتَ؟
- فل.
- طيب أنا حبيت بس أطمن عليك مش أكتر.
- أنا كويس.
- منير أنا آسفة، حبيت بس أعتذر لك قبل ما أمشي من حياتك، يمكن أكون ضغطت عليك من غير ما أقصد لدرجة فعلًا ضايقتك مني يمكن علشان بحبك زيادة عن اللزوم.

على الجانب الآخر من المكالمة وبصوت هاديء متسائلًا:

- وهو إحنا مش هنتكلم تاني خالص؟
- حاسة إنك رافض وجودي في حياتك، وأنا مش عايزة أفرض نفسي عليك، مبحبش أكون تقيلة على حد.

- قولتلك متفكريش يا ريم قبل كده، الكافيه روحته لأني كنت محتاج أشرب فنجان قهوة وكنت وقتها جنبه وغير كده أنا واخد عليه فدخلت، بس دي كل الحكاية.

تصنعت (ريم) بأنها صدقت حديثه كالعادة، لأنها حقًا غير قادرة على الحياة بدونه، أسبوع مرعليها وهما متخاصمان قُتِلت فيه في كل لحظة، ستصدقه أيضًا تلك المرة حتى لا تنتهي بالنسبة لها الحياة.

في الأتلّيه:

دخلت ريم بهدوء وملامح باردة واضعة سماعة في أذنيها، ثم جلست مكانها دون النظر إلى الصديق الجديد (حسن)، تنهدت في حزن ثم بدأت في الرسم ظل (حسن) يراقبها بشغف ثم أشار إلى (زينب) ليسألها (هي صحبتك مالها) فأشارت له برأسها (مش عارفة)؟

ثم وقف (حسن) وتقدم خطوتين ليقف بجانبها وأردف بجدية قائلًا:

- صباح الخير.

لا تنتبه (ريم) إليه بسبب الصَّخَب الذي يكاد يخرج من سماعة الأذن خاصتها ليصل إلى (حسن) فعاد ليقولها مرة أخرى لكن بصوت عالٍ تلك المرة:

- صبااح الخيير.

انتبهت تلك المرة (ريم) ونزعت السماعة من أذنيها وأجابت بخفوت وعدم اهتمام:

- صباح النور.

حسن بابتسامة واسعة يعرفها بنفسه:

- حسن.

ريم بتعجب:

- سوري مش فاهمة؟

- أنا اسمي حسن؟

ريم بابتسامة جانبية:

- آه أهلًا بيك.

- شكرًا.

ثم نظر إلى (زينب) غمز لها كأنهما يستعدان لتنفيذ خطة ما دون معرفة (ريم) ثم أردف (حسن) بصوت عالٍ:

- طيب يا جماعة أنا رايح البوفيه حد عايز حاجة من هناك.

ترفع زينب صابعها بطريقة طفولية كطفل يرغب في الإجابة:

- آه أنا أنا.. عايزة هوت شوكليت بعد إذنك يا حسن.

- تمام، حد عايز حاجة تاني؟

قالها وهو ينظر إلى (ريم) نظرة جانبية هو يفرك يديه في مكر مقبول، لكن (ريم) لم تعره أى اهتمام فهي في عالم آخر؛ تجمع أحداث حكايتها مع (منير) منذ البداية وإلى الآن، كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة، تسأل نفسها في كل لحظة:

(هل حقًا تلك الوعود كانت كاذبة، وعود صاحبة وقتها فقط؟)

(وقد أصبحتُ كالنهر الجاف الذي لا يروي عطشه إلا الحنين إليك).

حاولت أن تتعايش مع هذا الوضع الحالي، ألغت عقلها تمامًا أصبحت كالفراغ الذي يخشى الضوضاء، كلمات صماء تعجزعن فهمها في كل اتصال تليفوني أو شات بينهما تُلقى وسط الكلمات الباردة بينهما جملة واحدة:

- أوعدني إنك عمرك ما هتسبني.
- مش هسيبك... أوعدك.

(ما احتفاظي بعهودٍ لم تصنها.. وإلام الأسر والدنيا لديَّ).

بيت منير:

طُرِق بابه ففتح ببطء ليتفقد من الزائر بغير موعد، وقد تفاجأ بهذا

الزائر الذي لم يتوقع زيارته، ثم رحب بابتسامة واسعة:

- يا مجنونة.

ابتسمت (ريم) له ثم دلفت إلى الداخل بهدوء ثم أغلق (منير) الباب لتلقي بجسدها بين ذراعيه وتطبع قبلة هادئة على شفتيه، ثم جلست على أقرب مقعد لها، فجلس بجانبها (منير) واضعًا يديه على كتفها ليضمها إلى صدره بحنان ليهمس قائلًا:

- وحشتيني.

نظرت (ريم) إليه بابتسامة بسيطة:

- وأنتَ كمان وحشتني قوي، بقالي كتير معرفش عنك حاجة فقلت أعملك مفاجأة وأجيلك.

ابتسم لها ثم قبَّلها على جبينها برقة ونهض من جانبها بهدوء:

- تشربي إيه بقى؟

- ميرسي يا منير مش عايزة.

ثم تركها دون اهتمام لما تقول وهو يدلف في طريقه إلى المطبخ قائلًا:

- هعملك قهوة معايا، طبعًا بتشربيها زيادة.

نظرت (ريم) لتتأمل بعينيها معالم الشقة حولها فوجدت باب غرفة أمامها مواربًا بعض الشيء، قتلها الفضول فنهضت من مكانها بصمت

وبخطوات هادئة اقتربت حتى لا يشعر (منير) بحركتها، مدت يديها لتفتح الباب على مصراعيه وقد اتسعت حدقة عينيها بصدمة من ما ترى؛ غرفة ذكرياته والتي قال لها أنه أعدمها مازالت موجودة كما وصفها لها في أول مرة، منضدة صغيرة جدًا لا تتسع سوى لطفاية سجائر وزجاجة خمر وكأس واحد، شد انتباهها أكثر (الطفاية) والتي تحتوي على سيجارة مازالت مشتعلة ينبعث منها الدخان، تراجعت إلى الوراء وقد ردت الباب كما كان، ثم جلست مكانها تحاول أن تمنع نفسها من البكاء فحبست الدموع خلف ابتسامتها الصغيرة انتظرت قدومه بفنجان القهوة، أرادت وقتها أن تصرخ فيه بحدة وضجر، تعذبه كما عذبها لكن لا جدوى الآن من الكلام، إذًا فكل شيء كان كذب وبصوت منهار خلف ابتسامتها الواهية:

- أنا لازم أمشي.

منير بتعجب وهو يحمل صينية بها فنجانان من القهوة:

- مالك؟!

نهضت من مكانها متجهة إلى باب الشقة في ارتباك وهي تزيح خصلات شعرها عن وجهها دون النظر إليه وبصوت متهالك:

- أصلي ماما اتصلت بيا ولازم أروح لها حالًا، أشوفك بعدين.

ثم نزلت على الدَّرَج بسرعة شديدة تكاد أن تسقط، كل شيء أصبح

ملطخًا بالأسود أمامها.

(إذًا انتظري أن يتركك هو، هذا وإن كان لم يتركك بعد، لقد تركك منذ وقت طويل، لكنك رافضة أن تستوعبي هذا، كفاكي إهانة لنفسك.

ابتعدي قدر المستطاع، اتركي له الحبل، فلماذا إذًا تحاولين الاحتفاظ به وهو يجرح يديك؟!! لأنكِ بكل بساطة تشدي الحبل لوحدك في اتجاه واحد.

((إذا أحببت شيئًا بقوة فأطلق سراحه فإن عاد فهو لك وإن لم يعد فإنه لم يكن لك من البداية)).

*****

الفصل السابع عشر

اختفت (ريم) تمامًا عن الجميع، أصبحت عدد زيارتها للأتليه محدودة جدًا، في كل مرة يقترب منها (حسن) تصده بصمتها، الحياة بالنسبة لها أصبحت بلا حياة انتظار الموت أصعب من الموت نفسه، أصبحت كالتي تنتظر قرار إعدامها في كل لحظة، في كل مرة يتصل بها (منير) كانت تنتظر أن يخبرها أنه حقًا يحبها، وإنه لن يتركها يومًا لكنه لم يفعل.

رن هاتفها ذات مرة فأجابت بعد تردد على مكالمة (منير) وببرود مصطنع ودموع حبيسة:

- ألو.
- إزيك.
- فل.
- هو أنا ممكن أشوفك، أصلك وحشتيني وعايز أقعد معاكي شوية لوحدنا.

تحاول أن تستجمع قوتها بألا تنهار أمام كلماته وأمام اشتياقها لرؤيته، لكن كانت تدرك بأن هذا هو الصواب الآن، أن تترك له المجال

في الاختيار حاولت أن تبدو هادئة وأن تتصنع اللامبالاة:

- النهارده مش فاضية، خارجة مع ماما هنشتري شوية حاجات.
- إمممم طيب ممكن بكره.
- مش عارفة هشوف.

صَمْت قليلًا من كليهما لا يُسْمع فيه سوى صوت أنفاسهما فقط ثم أردفت (ريم) دون تفكير وبنبرة جادة:

- منير.
- نعم يا ريم؟
- نفسي أتكلم معاك.
- ما إحنا بنتكلم فيه إيه.
- لا نتكلم زي الأول... زي زمان يعني... كأننا بنبتدي من جديد.
- مالك؟

فشلت دموعها تلك المرة في الاختباء وراء قوة تحملها، ثم أردفت بصوت متهالك مختنق:

- مفيش، بس حاسة إني محتجالك مش أكتر.
- وأنا معاكي.
- مش حاسة إنك معايا يا منير، ومش من دلوقتي بس.

- طب ما أنا كل شوية أتصل بيكي مرة متردیش ومرة تقولي ورايا مشاوير مش عارف في إيه.

وكأن هذا هو ما أردته أن يبحث هو عنها لا هي، أن يصر على بقائها في حياته.

آخر مكالمة:

وبنبرة باردة من كليهما وصمت طويل بعد كل جملة أردف (منير) بلهجة دافئة:

- حلمت بيكي.
- بجد... وأنا كمان حلمت بيك.
- حلمت إني في صحرا كبيرة وإنتِ لابسة قميص أخضر وبتجري وشيفاني بجري وراكي وبتبصي عليا وأنا بتبهدل وأقوم وأقع وإنتِ بتضحكي.

صمت من كليهما مرة أخرى ثم أردفت (ريم) بصوت متعب:

- وأنا حلمت إني واقفة بنادي عليك وأنتَ بتبعد عني، كنت بصرخ علشان تسمعني لكنك محاولتش حتى تبص عليا أنا بيحصلي إيه وأنا شيفاك بتسبني وبتبعد.

كلاهما يبحث في حلمه عن الشيء الذي يفتقده في الآخر، انتهت المكالمة وانتهى معها كل شيء؛ تركها بلا وداع وضعها في خانة (البلوك) في كل شيء كما فعلت به (كاميليا) ذات يوم به.

لم تذق عيناها طعم النوم، منذ آخر مرة تحدثت فيها مع (منير) وهي تنتظر يوميًا أي اتصال فانتظرت لكنه لم يفعل. مر أسبوعان كاملان وبعد تفكير يسبقه تردد أخذت قرارها أخيرًا فنهضت من سريرها الذي أصبح عبارة عن قوقعة تختبيء فيه من الواقع، نظرت للمرآة لتتأمل ملامح وجهها الباهتة وشعرها المشعث فرفعت يديها لتزيح شعرها عن عينيها لتتمعن أكثر في تلك العلامات التي خلَّفها الإجهاد والأرق وكثرة التفكير فحدثت نفسها قائلة:

- (تغيرت كثيرًا أشعر بأني بلغت السبعين من عمري)

فأزادت التمعن في وجهها المنعكس في المرآة، وفي لحظة أخذت قرارها وبدون تفكير، لتبرر لنفسها تصرفها هذا محدثة نفسها:

- (سأذهب إليه، نعم سأفعل ولمَ لا؟؟ فأنا أشعر باحتضاري دونه، سأخبره بأنني أحبه ولن أتحدث عن كاميليا مرة أخرى ولن أخبره بأمر الغرفة التي رأيتها، سأقول له دعنا نبدأ من جديد وننسى كل شيء سأرضى بالقليل، نعم سأفعل)

فقامت بارتداء فستان ملون قصير واسع يشبه الوردة، تركت شعرها على سجيته كما يحبه أن يكون، لم تزينه سوى وردة حمراء بجوار أذنيها وذهبت إلى المسرح كي تتحدث معه، ذلك هو المسرح الذي اعترف لها بحبه لأول مرة، دلفت إلى المسرح بخطوات بطيئة كأنها تتسلسل خِلْسة فوقفت تجوب بعينيها حولها باحثة عنه فاتسعت عيناها بصدمة من هَوْل ما رأت؛ فقد وجدت (منير) واقفًا وبجانبه (كاميليا) نعم هي!!، فقد عرفتها من تلك الصور التي كانت تملأ غرفته، كانت ضحكاتهم عالية كالسهام في قلبها، زاد ألمها أكثر عند رؤيته يمسك يد (كاميليا) في حب وهو ينظر إلى عينيها نظرة هي تحفظها عن ظهر قلب، فأعطت لهما ظهرها وركضت سريعًا إلى الخارج، لكنها صُدِمت في كتف (عصام) صديق (منير) فنادى عليها لكنها لم تبالِ وكأن لا وجود له، ركضها ازداد سرعة حتى بدأت تشق الهواء بجسدها، شهقاتها كانت عالية ووجهها تغرقه دموعها حتى وصلت البناية التى تقطن فيها، لم تنتظر هبوط المصعد الكهربائي بل أكملت صعود الدَّرج ركضًا بنفس الحالة المزرية وكان هذا اليوم الذي حاولت فيه (ريم) الانتحار.

تفتح ريم عينيها بعد غفوتها على (الشيزلونج) نظراتها تبدو تائهة كمن فقد الذاكرة وكأنها تستكشف غرفتها لأول مرة، تتلمس بأناملها جرح معصمها في خيبة أمل وابتسامة جانبيه زائفة، حتى رن جرس الباب

فحاولت الاستناد لنهوض فمازال جسدها هزيلًا متعبًا، فوجدت أمامها (زينب) محملة بوجبة جاهزة في يدها وعلى وجهها ابتسامة واسعة، ثم ألقت (زينب) نظرة عابرة على جُرح معصمها، فقد كانت على علم بما حدث لها من (حسن) لكنها غير راغبة في سؤالها عن سبب ذلك، أو على الأقل الآن، فتعاملت مع الأمر دون هتمام وتحدثت بمرح كعادتها دون أي اختلاف.

- وحشاني يا قلبي إنتِ.

جلست (ريم) على أقرب مقعد لها في تعب بعد مصافحتها لصديقتها، ثم جلست (زينب) بجوارها، بعد أن وضعت الوجبة على المنضدة الصغيرة أمامهما، ثم نظرت إلى (ريم) التي مازالت شاردة.

فتنهدت (زينب) بصوت عالٍ لتردف بجدية مصطنعة:

- بصي يا ست ريم أنا بقالي كتير مأكلتش معاكي وبما إنك بقالك كتير مجتيش الأتليه فأنا قررت أخيرًا أني أجيب الأكل وأجيلك لحد عندك ناكل.

ثم تبدأ في فتح الوجبة وإخراج الطعام من العُلبة لتتابع (زينب) كلامها:

- على فكرة جبتلك بيبسي دايت علشان متزعليش يا ستي أهو علشان بس متقوليش إني حرماكي من حاجة.

نظرت إليها (ريم) بانكسار مختبئ خلف ابتسامتها الواهية، ثم أردفت

بخفوت وضعف قائلة:

- بس أنا مش هقدر آكل حاجة يا زينب، أنا آسفه سامحيني.

قالتها ثم رجعت برأسها إلى الخلف ساندة على ظهر المقعد، ربَّتت (زينب) على يديها في حنان مواسية لها، فنظرت (ريم) إلى يدها ثم رفعت عينيها في بطء لتنظر إلى (زينب) في انكسار، ثم مالت برأسها لتسندها على كتف (زينب) والتي مدت زراعيها خلف ظهرها وأسندت خدها على رأسها في حنان وبصوت هامس أردفت (زينب) قائلة:

- أنا مش هسألك مالك لأني عارفه إيه اللي فيكي ومش هقولك تعالي نتكلم، بس على الأقل لازم تاكلي يا ريم.

ريم بصوت يخنقه البكاء:

- ماليش نفس فعلًا يا زينب.

ابتسمت (زينب) محاولة تغيير نبرة صوتها مداعبة إياها وهي تعتدل لتنظر إليها:

- وإن قولتلك علشان خاطري، ده أنا جيبالك شاورمه من اللي بتحبيها .

ثم أمسكت بإحدى السندوتشات وقربته من فم (ريم) وبابتسامة ونبرة طفولية:

- يلا بقى أنا هأكلك بأيدي أهو، هممم يا جمل.

ابتسمت (ريم) ثم تابعت (زينب) حديثها بشوق قائلة:

- طب تصدقي بجد وحشتني ضحكتك قوي.

خفضت (ريم) رأسها مجددًا لتنظر إلى الساندوتش الذي بيديها بلا اهتمام وبابتسامة مكسورة، لتنظر إلى (زينب) ثم تزفر بهدوء وقلة حيلة:-

- - أنا كويسة يا زينب، أو على الأقل عايشة لسه وأكيد مش هفضل كده، هيجي يوم وهبقى كويسه.

تصمت قليلًا ثم تتابع في بحزن عميق:

- أكيد هيجي يوم وهبقى فيه كويسه، مع أني متأكده أن اليوم ده هيتأخر كتير.... كتير قوي.

كلمات (ريم) جعلتها تصمت تاركة الساندوتش الذي بيديها مكانه على الطاولة بعد رؤية عين (ريم) تترقرق بالدموع لتنسال على خديها، فتحتضنها (زينب) على الفور بقوة فهي تعلم بأن البكاء أفضل لها من الكتمان ومحاولة في تخفيف ما تحملها بداخلها من ألم، شهقت (ريم) شهقات متتالية وقد أجهشت من البكاء وكأنها أخذت الإذن الآن بالانهيار والذي ظلت تكتمه لأشهر عديدة.

بعد قليل:

خرجت (زينب) من المطبخ حاملة بيديها كوبًا من عصير الليمون ثم وضعته على الكمود بجانب سرير (ريم) ثم نظرت إليها، كانت جالسة على سريرها باستنادة خفيفة على وسادتها ثم أردفت (زينب) بحزم:

- ممكن بقى تشربي كوباية الليمون دي علشان تهدي أعصابك شوية.
- ميرسي يا زينب تعبتك معايا.

ابتسمت (زينب) وهي تجلس على حافة السرير:

- إية الكلام ده إنتِ أكيد بتهرجي مش كده.
- لا بجد تعبتك معايا ونكدت عليكي ومخلتكيش تاكلي كمان.
- لا متقلقيش أنا هبقى آخد ساندوتش من بره آكله وأنا ماشية.
- ماشيه فين؟ خليكي شوية معايا يا زينب.
- مينفعش لازم أمشي علشان اتأخرت قوي، وهبقى أجيلك بكرة صدقيني بس متنسيش تاكلي أنا هحطلك الأكل في الثلاجة، وإلا هتصل بمامتك أخليها تجيلك.

ريم بابتسامة هادئة:

- صدقيني هاكل.

فتميل (زينب) لتقبلها في حنان:

- هاجيلك بكره بإذن الله، يلا سلام.

ثم تتركها وتذهب تابعتها (ريم) بعينيها إلى أن سمعتها خرجت وأغلقت الباب خلفها ثم نظرت إلى كوب العصير الذي بجانبها لتتناوله ثم بدأت في ارتشاف القليل منه حتى وقعت عينيها على هاتفها، فتترك كوب العصير جانبًا وأمسكت هاتفها وبدأت تعبث فيه بهدوء لتخرج صورة لـ (منير) لتنظر إليها بابتسامة مليئة بالدموع، ثم أردفت بخفوت وحزن:

- معقول موحشتكش؟ بس أنت وحشتني بقى إيه رأيك، وبردو مهما تعمل هفضل أحبك، أصلي مش هعرف أكرهك علشان أنا فعلًا بحبك.

قالتها بابتسامة عريضة رغم الدموع التي تغرق وجنتيها والشهقات المكتومة داخل حروفها لم ترغب في تذكر هذا الواقع المفروض عليها الآن، بأن كل شيء بالفعل قد انتهى، وربما يكون انطوى بداخل ذكريات مهمشة له ولن يتذكرها يومًا حتى مع نفسه.

*****

الفصل الثامن عشر

في الأتليه وبعد مرور أسبوعين:

جلست (زينب) في البوفيه وأمامها كوب من القهوة قد وُضِع للتو من (عم حمدي) لكنها كانت منشغلة بهاتفها محاولة الاتصال بـ (ريم) للاطمئنان عليها كعادتها كل صباح منذ الحادث، فرآها (حسن) من بعيد ثم همَّ بالاقترب منها ليجلس بجانبها.

- صباح الخير.
- صباح النور.

لم ترفع (زينب) عينيها المعلقة على شاشة هاتفها، حتى تعجب (حسن) لحالة القلق التي على وجهها وانشغالها بتلك الصورة.

حسن بتعجب:

- مالك يا زينب في إيه؟
- بحاول أتصل بـ (ريم) مش بترد، مش عارفة في إيه؟
- يمكن نايمة ولا حاجة.
- لا أنا كلمتها إمبارح وقالت أن مامتها بايتة معاها النهارده وأكدت

عليا أتصل بيها أصحيها.

رجع حسن بظهره إلى الوراء ساندًا على ظهر المقعد في هدوء وبنبرة باردة:

- طب وإيه المشكلة في إنها متردش محصلش حاجة أكيد خير؟

- لا ريم متعودة ترد بسرعة وبعد كده.....!

ثم انتبهت لطريقته الباردة فرفعت حاجبيها بدهشة من كلامه متسائلة بنبرة جادة:

- أنت عارف حاجة ومخبيها عليا يا حسن، مش كده؟

- ريم كلمتني من ساعة وقالت إنها جايه النهارده.

شهقت زينب بفرح:

- بجد؟!

- آه بجد، هي كلمتني وقالت إنها نفسها تخرج فعرضت عليها إنها تيجي النهارده بس.

زمت زينب شفتيها في غيظ:

- الندله دي ومتقوليش وأنا بقالي أسبوعين رايحة جاية، ماشي يا ريم بس أشوفك.

اعتدل حسن في جلسته ثم نظر إلى زينب في جدية:

- زينب هو أنا ممكن أسألك على حاجة؟

نظرت زينب إليه وكأنها تعرف ما يدور في باله لكنها لا تملك حق الإجابة على أسئلته ثم أردفت بجدية:

- حسن، من غير ما تقول أنا مينفعش أتكلم على أي حاجة تخص اللي حصل لـ (ريم).

- يعني إنتِ عارفة أنا عايز أقولك إيه؟

- كل اللي أقدر أقولهولك إني بتمنى أنها تكون كويسة وتعدي المحنة دي على خير، ده اللي يهمني مش أكتر من كده وبعدها تقدر تسألها كل اللي عايز تعرفه.

ثم توقفت قليلًا لتتابع بتعجب:

- حسن هو إنتَ بتحب ريم؟

حسن بعد تنهيدة طويلة رجع إلى الوراء مستندًا على مقعده بصوت هادئ:

- مش عارف إذا كان حب ولا لأ؟ بس اللي متأكد منه إني بكون مبسوط لما بشوفها مبسوطة، وببقى مضايق لمجرد أنها مش موجودة، مش عارف جايز أكون بحبها، وجايز أكون مهتم بيها مش أكتر، بس اللي أعرفه أني ببقى مبسوط وأنا معاها.

تنهدت زينب ثم ابتسمت قائلة:

- يبقى بتحبها يا حسن.

- ممكن، بس أوقات مش بترضى تصدقي مشاعرك علشان متتصدميش فبتكتفي إنك تسكتي وبس.

- ريم بتمر بحالة متسمحش ليها بالدخول في أي قصة حب على الأقل الفترة دي.

- أنا عارف إن اللي ريم فيه ده بسبب قصة حب فاشلة مرت بيها، لكن محاولتش أسألها عن السبب اللي وصلها للانتحار، طلبت منها كتير أنها تتكلم لكنها كانت بترفض وده أكدلي أن الموضوع فيه واحد، هي رافضة حتى تجيب سيرته، علشان كده مش بحاول أصدق مشاعري علشان متعبش، فهمتي؟

- فهمت يا حسن.

وقعت عين زينب على الباب الخشبي للبوفيه لتجد (ريم) قادمة نحوهما بابتسامة صغيرة على ثغرها، ربما مرة أو اثنتان هربت عيناها نحو المسرح بدون قصد، لتتذكر (منير) لكن سرعان ما تعود إلى نفسها مرة أخرى.

وقفت زينب لتصافح صديقتها باحتضانها بشدة.

- حمدًا لله على سلامتك.

ثم أنهت (ريم) سلامها مع (زينب) لتنظر إلى (حسن) وبابتسامة رقيقة مدت يدها لمصافحته ليردف قائلًا في شوق:

- حمدًا لله على سلامتك.

- الله يسلمك يا حسن ميرسي.

زينب بجدية مصطنعة معاتبة:

- بردو تقولي لحسن إنك جاية ومتقوليليش أنا، هان عليكي العيش والشاورمة.

ريم بضحكة هادئة:

- والله جت كده، فجأة لقيت نفسي عايزة أخرج وأجي هنا، وبالصدفة حسن أتصل بيا الصبح وشجعني أني أنزل.

ثم نظرت حولها في شوْق بعد أَخْذ نفس عميق لتزفره في هدوء:

- المكان واحشني، حتى ريحة الألوان وحشتني.

ثم نظرت إليهما بابتسامة وبصوت هادئ لتتابع:

- وأنتم كمان وحشتنوني قوي.

وقف (حسن) واضعًا يديه في جيوب بنطاله متأملًا ملامح (ريم) وتلك الابتسامة على وجهه، بادلته (ريم) نفس الابتسامة ثم أردفت باهتمام:

- أخبارك إيه يا أبو علي؟.

- كويس... مدام شايفك كويسة.. لازم أكون كويس.

لتخفض (ريم) رأسها في خجل ثم تنظر إلى (زينب) محاولة تغير

الكلام:

- أوعى حد يكون أخد مكاني جنبكم؟

زينب بجدية:

- حد يقدر يستجرى بس يفكر، كل حاجة زي ما هي كأنك كُنتي هنا إمبارح.
- طب ممكن بقى أروح على مكاني علشان وحشتني الألوان والرسم قوي.

ثم تفاجأت بـ (أستاذ كريم) يقترب نحوهما وبابتسامة عريضة مرحبًا بها:

- أهلًا يا ريم، حمدًا لله على السلامة، إيه الغيبة دي كلها؟.

ريم بابتسامة صغيرة:

- ميرسي يا أستاذ كريم، كنت تعبانه شويه بس الحمد لله.
- على العموم حمدًا لله على سلامتك.
- الله يسلمك.

بعفوية من (أستاذ كريم) تابع حديثه مع (ريم) دون قصد منه:

- عارفة مين كان هنا إمبارح؟

ريم بدهشة وتعجب:

- مين؟

- منير.

تسارعت دقات قلب (ريم) وقد تلون وجهها بصدمة، فحاولت أن تلملم كلمات تُقال حتى لا يلاحظ أحد ما بها، كانت (زينب) تراقب ما يحدث لصديقتها فهي الأخرى قد صُدِمت من ما سمعت فأسرعت بالإجابة بدلًا من ريم قائلة:

- خير يا أستاذ كريم كان عايز إيه؟ أصلي من وقت ما عقْد فرقِته خلص ومجاش تاني هنا إلا مرتين بس، خير كان جاي ليه؟

- أصلهم رجعوا للمسرح بتاعهم من تاني كانوا بيوضبوه أظن، بس كان جاي ومعاه واحدة الظاهر كده خطيبته، والمفروض أن حفلته بُكره فكنت بسأل إذا كان حد هيجي معايا وإلا أروح أنا لوحدي؟

زينب بغيظ مكتوم:

- والله يا أستاذ كريم كلنا مشغولين بكره ومش هنقدر نيجي معاك، مش كده يا ريم؟

مازالت (ريم) في حالة من الصدمة قد جمدتها بالفعل، فلم تتفوه بأي كلمة وكأن وجهها هربت الدماء منه، أصبح شاحبًا تحاول أن تتصنع القوة والصمود أمامهم وبجدية وقوة تنظر إلى أستاذ كريم:

- أنا رايحة.

نظرت إليها (زينب) في دهشة وقلق، ثم نظرت إلى (حسن) الذي كان يراقب ما يحدث ورد فعل (ريم)، وتغيرات وجهها التي اختلفت عند ذكر اسم (منير)، فهذا كان كافيًا بعض الشيء ليعرف من هو هذا الشخص المتسبب في ما وصلت إليه (ريم) وربما كان ردًا على جميع الأسئلة التى تدور في رأسه.

ثم تابع (أستاذ كريم) لينهي حديثه:

- طب يا جماعة أنا هكون في الحفلة بُكره الساعة ٨ بالليل ومكان المسرح

ثم تقطع كلامه ريم قائلة:

- أنا عارفة المكان كويس.

ثم أنهت كلامها بابتسامة جانبية ساخرة على ما يحدث، مما جعل (زينب) و(حسن) يتبادلان النظرات معًا في قلق ودهشة.

ثم نظرت (زينب) إلى (ريم) في حدة قائلة في تهكم شديد:

- أنت بجد هتروحي؟

ريم ببرود أعصاب:

- أكيد.

- تبقِي أكيد اتجننتي!

- ليه؟

- إنتِ فاهمة ليه يا ريم.

- بالعكس، مش لازم نبارك له على الخطوبة.

استمع (حسن) لهذا الحوار بينهما في صمت لكنه تركهما وذهب دون كلام، حتى أن (ريم) لم تنتبه أو تهتم حتى بالنظر إليه، كانت لا ترى أمامها سوى (منير) وصدى ضحكاته مع (كاميليا)، ثم نظرت إلى زينب في صرامة قائلة:

- أنا ماشية.

- إنتِ لحقتي تقعدي يا بنتي ماشية فين؟.

- كفاية قوي اللي حصل النهارده.

وبابتسامة واهية وعيون لامعة بحزن تابعت (ريم) بسخرية:

- يعني أرحموني شوية، دي الرحمة حلوة بردو يا زينب.

زينب بجدية وقلق محذرة:

- ريم، أكيد مش هتروحي بُكره مش كده؟.

لم تهتم (ريم) لكلامها لتكمل طريقها للخروج.

اليوم الثاني، في المسرح:

زحام الجمهور في كل مكان، وصَخَب عالٍ ازداد أكثرعند البدء في العزف، وقف منير هو وفرقته على المسرح، لكنه لا يبالي بهذ العدد الغفير من الجمهوروتلك الحفلة التي انتظرها كثيرًا ليعلق نظره في اتجاه واحد فقط، نعم نحو(كاميليا) والتي كانت واقفة على مقربة من المسرح لتبادله الابتسامة، (كاميليا) فتاة سمراء، عيونها سوداء واسعة، ذات شعر طويل، وابتسامة مميزة، والدها يعمل طبيبًا في إحدى المستشفيات الكبيرة في كندا، لم تزر مصر منذ أكثر من عامين تقريبًا، ارتبطت بـ (منير) عاطفيًا لمدة ستة أشهر فقط، ثم تركته وسافرت مرة أخرى مع والدها لكنها عادت مرة ثانية وكأن في عودتها أعادت الحياة لـ (منير) مجددًا لينسى ما حدث منها وما سببته له من ألم وعذاب، ولكنه أيضًا نسى (ريم) وحبها له وكأن الوعود التي أخذها تبخرت، كان يبرر لنفسه ما فعله بجملة واحدة:

- (لا شيء بالمهم، مادامت كاميليا قد عادت لي مجددًا فكل ألم قد نُسِّي)

تلك كانت كلماته لنفسه عندما كان يخاطبه ضميره أو عقله، هذا وإن كان بالفعل ضميره راضٍ عن ما يفعل.

شقت ريم جموع الحشد ببطء وتركيزها المنصب للوصول إلى المسرح لرؤية (منير) وعلى وجهها ملامح باردة صارمة تعكس ما بداخلها من غضب وانهيار، فتصل إلى أقرب مكان للمسرح لتنظر إليه بكبرياء وبابتسامة ساخرة، لكن نظره منشغلًا بإحداهما فنظرت (ريم) إلي ما يشغل (منير) ويأخذ عقله عن جمهوره لتجد (كاميليا)، فنظرت إليها لبعض الوقت تتأملها في حزن عميق، كانت هناك رغبة شديدة ملحة في قتلها أمام أعين (منير) والنظر في عينيها صارخة فيها بأعلى صوت:

- (أنا من أستحق منه تلك النظرة، أنا من أستحق ذالك الحب، لستِ أنتِ، أنا ولستَ أنتِ، ولِما لا أكون أنا أنتِ، أنا من أحبه، أنا من قتلني حبه كما قتلتيه من قبل)

ثم تعود إلى الوراء تاركة مكانها أمام المسرح، لتذهب إلى المكان الذي أخبرها فيه (منير) لأول مرة أنه يحبها، لتلقي بحقيبتها (الكروس) التي تحملها أرضًا وتخرج الألوان منها، ثم تنظر حولها لتجد السلم الحديدي الذي صعدت عليه من قبل في ذلك اليوم، فتتناول الألوان وتبدأ في الرسم دون الاهتمام بأي شيء حولها، لم يمنعها أحد بل ظل بعضهم يترقب ما تفعله عن قرب باهتمام.

في ذلك الوقت تحاول (زينب) الاتصال بـ (ريم) وقد انتابها القلق لكن هاتفها كان مغلقًا، فاستنتجت على الفور بأن (ريم) بالفعل ذهبت

إلى الحفلة رغم وعدها ل(زينب) بعدم حضورها، وبعد نفاد صبرها في الوصول إلى (ريم) فتقوم بالاتصال بـ (أستاذ كريم) ليجيب على اتصالها بعد وقت؛ فهو الآخر منغمس في الحفلة وهذا الصَّخَب يمنعه في سماع هاتفه بسهولة:

- ألو.. أيوه أزيك يا أستاذ كريم.

على الجانب الآخر أستاذ كريم يتحدث بصوت عالٍ بالكاد يسمعها:

- أيوه يا زينب أخبارك إيه، مجتيش ليه مع ريم.

زينب بشهقة وهلع قائلة:-

- هي ريم عندك؟ أصلي بتصل بيها موبايلها مغلق.
- آه لسه شايفها كانت هنا جيت أكلمها فجأة لقيتها اختفت.
- طب شكرًا يا أستاذ كريم.

لتنهي المكالمة وهي تتحرك ذهابً وإيابًا في قلق ثم أمسكت هاتفها بعد نفاد صبرها لتقوم بالاتصال بـ حسن:

- ألو.. أيوه يا حسن.

حسن بتعجب:

- أيوه يا زينب مالك في إيه؟
- ريم.

- مالها؟

- موبايلها مغلق، أنا خايفة عليها يا حسن.

- بتفكري في إيه.

- معرفش، بس أنا كلمت أستاذ كريم وقال أنه شافها في حفلة منير.

- تعرفي مكان المسرح؟

- لا بس أستاذ كريم يعرف.

- طب أنا هتصل بيه وأروح على هناك وأتصل أبلغك.

- لا أستناني أنا هاجي معاك يا حسن.

- تمام.

ثم أغلق الهاتف ليقوم بارتداء قميصه والنزول فورًا من بيته سريعًا، وأثناء نزوله اتصل بـ (أستاذ كريم) ليوصف له مكان المسرح.

*****

الفصل التاسع عشر

في المسرح:

بدأت (ريم) في الانتهاء من الرسم على الحائط وقد تجمهر حولها الكثير من الموجودين ظل العدد يتزايد وصيحات التشجيع تعلو أكثر فأكثر إلى أن انتهت من رسمتها ليظهر جزء من وجه (منير) وبجانبها عبارة واحدة:

((هَبْ لي وداعًا أفضل من ذلك))

توقف (منير) عن الغناء ليرتاح قليلًا ثم لفت انتباهه تجمع العديد من الجمهور بعيدًا عن المسرح، اقترب من (كاميليا) بابتسامة ثم أمسك يدها وذهب ليستكشف مكان تواجد الشباب والصيحات الحماسية لشخص آخر في المكان، بينما (ريم) مازالت منغمسة في ما تعمل فلم تهتم بما يحدث حولها فقط كانت ترسم، وعند الانتهاء نظرت إلى الأسفل لتجد هذا العدد من الجمهور حولها، يتوسطهم (منير) وبجانبه تقف (كاميليا)، لم تتفاجأ بوجودهما بل نظرت إلى منير في تحدٍ وهي تنزل من على السلم بهدوء وببطء شديد، لتذهب تجاهه وهي تُحدِّق في عينيه بصرامة، حاملة بيدها عُلبة فارغة من الألوان التي فرغت للتو،

وبغضب وكبرياء لتلقي بالعلبة الفارغة بجانبه ثم تتركه وتذهب خارج المسرح، توقفت (كاميليا) في حالة ذهول لما يحدث بعد رؤية الرسمة التي تملأ الحائط أمامها، بينما ظل (منير) واقفًا مكانه في صمت وكأنه تَذكَّر ملامحها وتَذكَّر كل ما كان بينهما؛ تَذكَّر الوعود والحب لكنه سرعان ما ترك تلك الذاكرة جانبًا لتبقى طي النسيان مرة أخرى والعودة إلى المسرح دون الالتفات إلى (كاميليا) التي ظلت واقفة تحاول أن تفهم ما يحدث، ثم نظرت (كاميليا) إلى أثر (ريم)؛ لتحاول اللحاق بها إلى الخارج لكن خطوات (ريم) كانت الأسرع فاختفت تمامًا وسط الزحام.

خارج المسرح:

وصل (حسن) و(زينب) إلى الحفلة محاوليْن البحث عن (ريم) في كل مكان، إلى أن وجداها تجلس على مقعدٍ منزوٍ بعيد عن الأنظار، كانت في حالة لا يُرْثى لها، وجهها شاحب، ومحاولة التنفس شيء بالغ الصعوبة مما جعلها تضع يديها على صدرها متألمة بشدة، ثم رفعت عينيها بضعف شديد لتنظر إلى (حسن) و(زينب)، لم تتفاجأ بوجودهما وكأنه أصبح يوم المفاجأت.

حسن بقلق:

- ريم إنتِ كويسه؟.

هزت (ريم) رأسها بـ (نعم) ثم نظرت إلى (زينب) والتي بدا على ملامحها عدم الرضا ورفضها ما حدث لكن سرعان ما نكَست رأسها في انكسار، فمدت (زينب) يدها لتساندها وتساعدها على النهوض من مكانها إلى أن أتى صوت من خلفهما، ليتلتفت الجميع إلى من تتحدث في دهشة، إنها (كاميليا) لحقت بـ (ريم) إلى الخارج وما إن رأتها (ريم) وقفت على قدميها وكأن شيئًا لم يكن، تناست آلامها تمامًا وقفت في برود يسبقه غيظ مكتوم، نظرت إليها (كاميليا) موجهة لها حديثها، أردفت بنبرة هادئة رزينة قائلة:

- ممكن أتكلم معاكي شوية؟

نظرت (ريم) إليها من أعلاها لأسفلها بنظرة ثاقبة تملأها البرود الذي يعكس تلك النار بداخلها لتجيب بتلك النبرة الباردة التي تشبه ملامحها إلى حد كبير:

- اتفضلي.

- إنتِ تعرفي منير مش كده؟

لم تجب (ريم) على سؤالها بل اكتفت بابتسامة صغيرة مستفزة فتعود لتسألها (كاميليا) مرة أخرى بنبرة اتهام:

- بتحبيه مش كده؟

تلَّقت (ريم) سؤالها المباغت وقد مسحت تلك الابتسامة الباردة من

على وجهها، ثم عقدت ذراعيها في تحدٍ وببرود يخفي وراءه غضبًا عارمًا، ثم دَنَت لتتقلص تلك المسافة بينهما وهي تنظر إلى عينيها بنظرة ثاقبة لا تتزحزح:

- طب إيه رأيك نعكس السؤال؟!

رفعت (كامليا) حاجبيها في تعجب ثم أردفت سريعًا:

- مش فاهمة تقصدي إيه؟

- أقصد أني أنا اللي هوجه نفس السؤال بس ليكي إنتِ... بتحبيه؟

اتسعت عينا (كاميليا) بدهشة وقد ارتسمت على وجهها علامة التعجب، فتعود لتسألها (ريم) نفس السؤال مرة أخرى لكن تلك المرة نبرة صوتها ازدادت حدة:

- بتحبيه؟

ظلت (كاميليا) في حالة من الصمت والاندهاش، فلم تتفوه بكلمة واحدة وكأن السؤال قد لطمها، وربما تكون الإجابة هي من فعلت هذا بها، فَسَادَ الصمت للحظات بينهما فابتسمت (ريم) لها ابتسامة انتصار، ابتسامة تخبرها بأنك لم تحبيه يومًا على الإطلاق، فكان صمتها ردًا كافيًا من وجهة نظر (ريم) وربما أرضى غرورها كأنثى حتى ولو بالقليل لتتركها واقفة بين دهشتها وصمتها، لتذهب إلى(حسن) و(زينب) اللذيْن كانا يتابعان هذا الحديث وتلك المواجهة التي في وجهة نظر (زينب) هي

مواجهة دامية إلى حد كبير، عادت فيها (ريم) منتصرة لكن ما إن اقتربت منهما كادت أن تَخِرَّ من فَرْط التعب لكن يد (حسن) لحقتها ليساندها طالبًا منها الهدوء والسكينة لبعض الوقت حتى تستطيع التحرك للخروج من هذا المكان فهي بحاجه كبيرة إلى الراحة.

مازالت (كاميليا) واقفة مكانها بعد أن تركتها (ريم) تحاول أن تفهم ما حدث لتعيد الأحداث كلها من البداية، فتلتفت لتجد أمامها صديقتها (هيام) والتى قد لَحِقَتْ بها إلى الخارج وقد سمعت هذا الحوار الذي دار بينها وبين (ريم) دون قصد، لكنها لم تحاول أن تتحدث عن هذا الأمر بل طلبت من (كاميليا) بهدوء العودة إلى المسرح مرة أخرى حتى لا يشعر(منير) بغيابها، لكن (كاميليا) فضلت الجلوس في الخارج وتحديدًا نفس المقعد المنزوي الذي كانت تجلس فيه (ريم) قبل ذهابها، أغمضت (كاميليا)عينيها بنفاد صبر قائلة:

- عايزة تدخلي إنتِ تكملي الحفلة اتفضلي، أنا هفضل هنا شوية.

هيام متسائلة في تعجب:

- طب ممكن أعرف مالك دلوقتي؟

زَمَّت (كاميليا) شفتيها قائلة بغيظ:

- يعني مسمعتيش ولا شفتي اللي حصل؟

- وإنتِ مردتيش ليه عليها لما سألتك إذا كنتي بتحبي منير ولا لأ؟

قطَّبت (كاميليا) حاجبيها وهي تنظر إلى (هيام) بغيظ لتتابع (هيام) حديثها بثبات:

- علشان بكل بساطة إنتِ فعلًا محبتهوش يا كاميليا، لو كنتي حبتيه فعلًا مكنتيش بعدتى من الأول وأنت متأكدة أن منير بيحبك، وقتها مفكرتيش إلا في نفسك مهمكيش إذا كان هيتعذب بسببك ولا لأ، البنت اللى كانت في الحفلة عملت اللى إنتِ معملتهوش، أصرت تدافع عن حبها لآخر لحظة، تقدري تقوليلي حاجة واحدة بس عملتيها علشان تفضلي جنبه، لكن بكل بساطة سبتيه يتعذب ومهمكيش غير نفسك وبس.

حَدَّجتها (كاميليا) بنظرة متذمرة ثم أردفت في هدوء مذبذب:

- أنا سبته علشان مكنش ينفع وقتها نرتبط وإنت عارفة كده كويس.

- طب ودلوقتي..؟

خفضت (كاميليا) رأسها في حيرة ثم تنهدت بضيق وصمت، لتتابع (هيام) حديثها بلهجة صارمة:

- كاميليا أنتِ بتضحكي على نفسك ولّا بتضحكي عليا، إنتِ عمرك ما حبيتي منير وأنا سيباكي ومحاولتش أتكلم معاكي علشان عارفة أخرتها إيه، أخرتها هتسبيه وتمشي تاني، أنا ماشية وخليكي إنتِ هنا

وياريت تحددى موقفك مع منير لأنه فعلًا ميستاهلش منك كده.

ثم تركتها (هيام) وذهبت بعد أن نزعت هذا الستار الخفي من أمامها، وتلك الحجج التى لا أساس لها لتصدمها بالحقيقة التي تجهلها، ربما تصرف (ريم) أغضبها كثيرًا، لكن حديث (هيام) جعلها تعيد ترتيب أمورها مع (منير) فبقيت منزوية تعيد كلام (هيام) لها في شرود، جلست لبعض الوقت تفكر في كل شيء ثم همَّت ذاهبة تاركة الحفل وراءها دون الاهتمام بإخبار (منير) بذلك.

ظل (منير) على المسرح طوال الحفلة يبحث بعينيه عن (كاميليا) وسط الجمهور، وما إن انتهت الحفلة قفز من المسرح؛ ليبحث عنها هنا وهناك كالمجنون الذي يخشى فقدانها مرة أخرى، دون أن ينتبه للجمهور حوله؛ منهم مَن يرغب في مصافحته ومنهم مَن يرغب في التقاط الصور معه، برغم أهمية الحفلة بالنسبة له لكن هناك ما هو أهم ألا وهي (كاميليا)، فأمسك هاتفه ليقوم بالاتصال بها، لكن وجد هاتفها مغلقًا فَجُنَّ جنونه أكثر، ظل يتحرك ذهابًا وإيابًا بتوتر وغضب وهو ينظر إلى شاشة الهاتف ليعيد الاتصال بها أكثر من مرة وما إن يئس وقف يصرخ غاضبًا ليُنَفِّس عما بداخله قليلًا، لكن عينيه وقعتا على الحائط دون قصد لما رسمته (ريم) فصمت شاردًا وهو يُحَدِّق فيها وكأن الهدوء عاد قليلًا ليسكن أرجاءه، فزفر بَهَمٍّ وقلة حيلة، ثم ترك الحفلة وراءه دون أن

يخبر فرقته بذلك، شعر برغبته الشديدة إلى السكون والهدوء.

منزل ريم:

جلست (ريم) على سريرها في استكانة وقد غامت عيناها في استسلام وضعف، بينما وقف (حسن) في آخر الغرفة يتأملها في صمت وبعدم رغبة في الحديث عن أي شيء، كل ما يريده أن يطمئن عليها فقط.

نظرت (زينب) إلى (ريم) لتحدثها قائلة برجاء:

- ممكن بقى تريحي نفسك شوية ومتفكريش في أي حاجة تاني.

ريم بنبرة صوت هادئة متعبة:

- تعبتكم معايا.

ثم نظرت إلى (حسن) الذي لم يتفوه بأي كلمة منذ أن خرج من الحفلة، كانت تشعر به حقًا كانت ترغب في الحديث معه عن كل ما يدور في حياتها، كانت تريد أن تُلقي بأحزانها في عالمه، لكنها تراجعت عن الحديث في هذا الأمر، لم ترغب في الكتمان بقدر رغبتها في عدم الكلام أو تذكر ما حدث فاكتفت بالنظرات فقط، نظرت (زينب) إلى (حسن) لتحثه على التقدم لترك (ريم) ترتاح قليلًا قائلة له:

- يلا إحنا يا حسن نمشي علشان اتأخرنا فعلًا.

فتقدم (حسن) أمامها بالفعل إلى الخارج، فمازال محتفظًا بحالة الصمت التي عليها دون أن يودع (ريم)، غرقت (ريم) في النوم سريعًا.

أسفل البناية التي تقطن فيها ريم:

وقف (حسن) لينظر إلى (زينب) وبجدية شديدة:

- زينب هو أنا ممكن أعرف إيه حكاية منير مع ريم؟.
- كنت عارفة إنك هتسألني السؤال ده النهارده، وخصوصًا بعد اللي حصل في الحفلة، بس حاول تسألها هي يا حسن.
- أنا مش هسألها، وعمري ما هسألها أنا بسألك إنتِ، من فضلك يا زينب قوليلي إيه الموضوع بالظبط؟.

تنهدت (زينب) بنفاد صبر ثم تنظر إليه لتقص عليه حكاية (ريم) مع (منير) فيكفيه هَمًّا فوق هم كتمان حبه لها.

****

(هناك أشياء إن بقيت مجهولة لنا كانت أفضل من معرفتها أحيانًا)

*****

الفصل العشرون

ريم:

كل شيء عاد في حياة (ريم) وكأن شيئًا لم يكن، تركت جزءً بداخلها يتألم دون الانتباه إليه قصدًا (لم تنسَ بل تناست)؛ كانت هناك امرأة عجوز تسكن بالشقة المجاورة لها، تُوفي زوجها وتركها بعد زواج دام أربعين عامًا تقريبًا، كانت مغرمة به رفضت أن تترك ذكرياته وترحل إلى الخارج مع أولادها، رغم محاولتهم البائسة دائمًا في طلبهم بالسفر وترك الشقة بما فيها، لكنها كانت مصرة أن تبقى وسط ذكرياتها تنتظر الموت أو تنتظره هو، في إحدى المرات سمعتها (ريم) دون قصد تتحدث بصوت عالٍ مع أحدهم، لتقترب من شقتها في قلق وربما كان فضولًا أيضًا، فهي تعلم بأنها وحدها ولا أحد يسكن معها، فسمعتها تنادي باسم زوجها وتتحدث معه كأنه مازال موجودًا، فترددت (ريم) في بداية الأمر في أن تدق على بابها لكي تطمئن عليها، فانتظرت لبعض الوقت واقفة فهي تعلم بطء حركتها نظرًا لحالتها الصحية وكبر سنها، وما إن فتحت الباب دعَتها أن تدخل قليلًا، لم تتردد (ريم) للحظة لكن ما رأته في الداخل كان شيئًا مؤلمًا، وجدتها تضع البيجامة الصوف لزوجها المتوفى بجوارها على الفوتيه أمام شاشة التليفاز كأنه مازال يشاطرها حياتها،

وجدت فوق طاولة الطعام طبقين وكوبين، كانت تنظر إلى كل شيء حولها بذهول، لكن سرعان ما انتبهت بأنها أيضًا لا تختلف عنها كثيرًا، فَهَمَّتْ بالنهوض عندما شعرت بترقرق الدموع في مقلتيها، فاقتربت منها لتُقَبِّلَها على جبينها وتُرَبِّت على يديها بابتسامة حزينة. كانت تسأل نفسها كثيرًا بماذا تشعر تلك العجوز؟!

((فراغٌ واسع، صمت، لا سعادة، لا حزن، لا شيء، أدركتُ الآن شعورها، إنه اللا شيء))

أصبحت الحياة رتيبة، صماء، بلا أي مشاهد ملونة، تغمر نفسها في الرسم طوال اليوم وعند الليل تأتي بفيلم أبيض وأسود تشاهده إلى أن تنام، فقدت رغبتها في دخولها إلى ركنها الخاص رافضة تلك الذكرى المتعلقة بالمكان، كانت تفترش أرض غرفتها في بعض الأحيان لتبقى عيناها الشاردتان معلقتان في السقف مصحوبة بملامح باردة خالية من أى تعبير، وقد تبقى على هذا الوضع لساعات وأحيانًا يغلبها النوم فتنام.

في بعض الأحيان كانت تخونها أقدامها لتسوقها إلى المسرح تارة وإلى الكافيه تارة أخرى، وفي الكافيه كانت تَجْلِسُ على نَفْسِ الطَّاوِلة، تطلب نَفْسَ القهوة التي كان يُحِبُّها(سادة)، تقتربُ من الأبْخرةِ المتصاعِدة من

الفنجان؛ لتبحثَ عن أَنْفاسِه الممزوجة مع رائحة القهوة، وبابتسامة مُنْكسِرة تغمض عينيها لتتذكره، تتحسس بأناملها الطَّاوِلة دون إدراكٍ، تُلامِس مكانًا لمسته يومًا يداه، تنظر إلى مَقْعده الفارغ. ثم تنهض مُحتَضِنةً رحيق المكان، كثيرٌ من الذكريات وخَيْبة أملٍ في النسيان.

تمشي بخُطى ثقيلة دون هدف، تُحَدِّق في أضواء السيارات دون انتباه حتى كادت أن تصدمها إحدى السيارات، فأخرج صاحبها رأسه من النافذة ليقذفها ببعض الكلمات الغاضبة، لكنها في كل مرة تكمل طريقها وهي تنظر إلى صياحه دون أى رد فعل منها سوى أنها رفعت يديها لتخبره بأنه يصمت وليكتفي بهذا القدر من توبيخها، فتنتبه للحظة لكل ما يدور حولها ولكنها سُرعان ما تعود إلى نفس الحالة مرة أخرى، طنين في الأذن سحابة اللامبالاة تغطيها أينما ذهبت، تنظر إلى الشوارع، الزحام، حركة سير الناس حولها وكأنها ترغب في أن تنغمس في الزحمة حتى لا تشعر بشيء.

تبتسم لطفلة خلف الزجاج في إحدى المطاعم بابتسامة عفوية وحركات طفولية تداعبها، فتبادلها الطفلة الابتسامة حتى ينتبه لها والداها يشيران لها بابتسامة، فتقف لبعض الوقت لتدرك بأن عليها الرحيل، وما إن تدخل بيتها ترمي بثقلها على سريرها لتنام ساعات دون الانتباه لهاتفها الملقى في حقيبتها على أرضية غرفتها.

منير:

غرق منير في أحزانه من جديد عندما قررت (كاميليا) الرحيل مرة أخرى، لم تودعه مثل ما سبق بل تركت له رسالة اعتذار وسطر أخير مضمونه:

(دعنا أصدقاء) انهمك أيضًا في عمله كي ينسى لم يعد يرغب في تذكر شيء، فقط ((لا شيء))

كان في بعض الأحيان يأخذه حنينه إلى (ريم) متذكرًا ما كان بينهما، يعاتب نفسه كثيرًا ويؤنب ضميره، ثم يعود إلى حياته مرة أخرى دون اهتمام لأي شيء، أصبح مشتتًا بين ذكرياته مع (كاميليا) و(ريم)، أصبح الألم مضاعف عن ما قبل.

((أصبح مشتتًا بين عشق يرفض نفسه، وعشق يفرض نفسه)).

في إحدى الأيام كان يجلس كعادته أمام التلفاز بجانبه طفاية مخبئة تحت كَوْمة من أعقاب السجائر، وزجاجة (واين) قد أوشكت على الانتهاء، وكأس فارغ ملطخ ببعض بقايا الشراب، طُرِق بابه لكنه لم يسمعه في البداية بسبب صوت التلفاز العالي جدًا وكأنه قاصدًا أن يكون الصوت بذلك العلو؛ حتى لا يسمع أو ينتبه إلى عقله أو تفكيره، وما إن فتح (منير) الباب وجد (عصام) أمامه، نظر (منير) إليه دون اهتمام

فتركه ودخل ليجلس مكانه مرة أخرى واضعًا قدميه فوق الأخرى على الطاولة أمامه، وقف (عصام) لبعض الوقت مستنكرًا لتصرفه الغريب، ثم دلف إلى الشقة وأغلق الباب خلفه وجلس على المقعد المقابل لـ (منير) في صمت، لم يحاول (منير) حتى النظر إليه بل ظل نظره معلقًا على شاشة التليفاز باهتمام مبالغ،لا، بل كان اهتمامًا مصطنعًا زفر (عصام) بضيق شديد وهو ينظر إلى أعقاب السجائر وزجاجة الـ (الواين) أمامه، وشَعْر(منير) المشَعَّث الذي لا يختلف كثيرًا عن ذقنه، ثم أردف في تهكم شديد قائلًا:

- هي دي بقيت خلاص حياتك؟

تناول (منير) عُلبة السجائر من على الطاولة وأخذ القداحة ليشعل سيجارته لكن لم تفلح بعد عدة محاولات فاشلة، فألقى بها بعيدًا وهَمَّ بالنهوض إلى المطبخ ليخرج بعد أن أشعل سيجارته ليجلس مكانه السابق في تجاهل شديد لـ (عصام) الذي كان يراقبه في ضيق ليتابع بحدة:

- هتفضل كده لحد إمتى؟ منير أنا بكلمك!

نظر إليه (منير) بنصف عين ثم أردف بنبرة باردة قائلًا:

- جاي ليه يا عصام؟

- جاي أشوف معاك حل للي أنت فيه.

أخذ (منير) نفسًا طويلًا من السيجارة أحرق فيها نصفها ثم رفع حاجبيه قائلًا:

- أنا مطلبتش منك مساعدة، وبعدكده أنا ليل نهار شغال يعني مش مقصر في حاجة.

زفر (عصام) بشدة حتى يُنَفِّس عن غضبه وكأنه استحضر روحه الهادئة:

- منير أنا مش بيجمعني بيك شغل ولا فرقة واحدة، إحنا مع بعض من سنين وحافظك كويس وعارف أنك مش كويس.

منير ببرود مفتعل قائلًا:

- لا أنا كويس يا سيدي يلا اتكل على الله امشي.

- لا مش كويس يا منير، حاول تفوق لروحك، شوف شكلك بقى إزاي.

هَمَّ (منير) بالنهوض مرة ثانية وهو يفرك في ذقنه وبنبرة باردة استفزت عصام أكثر من قبل:

- تشرب معايا قهوة؟

عصام بحدة:

- أنا مخلصتش كلامي علشان تقوم وتسبني.

منير بنفس النبرة الباردة وهو يتجه إلى المطبخ:

- عايز حاجة غير القهوة؟

- ريم لسه بتجيلك المسرح.

قالها (عصام) كالقذيفة التي أصابت (منير) بالشلل التام حتى تجمد مكانه، ثم تابع عصام حديثه:

- شفتها كذا مرة بتيجي تقف من بعيد وبعدها تمشي.

التفت (منير) إليه ببطء وصدمة وبصوت خافت متألم أردف متسائلًا:

- آخر مرة شوفتها فيها إمتى؟

- إمبارح.

- كلمتها؟

- لا، مكنتش بحاول أبين ليها إني شوفتها.

جلس (منير) مكانه على المقعد معاتبًا نفسه:

- أنا إزاي مشوفتهاش؟

عصام بنبرة حادة قاسية:

- مع الأسف أنت مبقتش بتشوف حاجة خالص يا منير.

نظر إليه (منير) في حزن ثم نَكَس رأسه فتابع عصام قائلًا:

- ريم بتحبك فعلًا، ورغم اللي حصل لسه بتفكر فيك، ولو حد غيرها كان من أول لحظه رماك أنت وهمك، أنت متستهلش حبها ليك مع الأسف.

فنهض عصام من مكانه ليردف قائلًا:

- ودلوقتي أنا هسيبك تفكر وترتب حياتك من جديد، كل حاجة عديت بيها أرميها ورا ضهرك علشان محدش في الدنيا يستاهل اللي أنت بتعمله في نفسك ده.

ثم فتح باب الشقة لينظر إلى (منير) نظرة أخيرة وبصوت هادئ رزين:

- ريم متستاهلش منك اللي أنت عملته فيها، حاول تدور عليها واتكلموا.

ثم ترك (منير) في تلك الحالة وخرج ليغلق الباب خلفه، رجع (منير) بظهره إلى الوراء وهو يحتضن وجهه بكفيه بتنهيدة حزينة عالية، ثم انتفض فجأة من مكانه ليقتحم غرفة الذكريات، وقف في منتصفها ينظر إلى كل شيء حوله بغضب، ثم بدأ في تكسير كل ما تطوله يداه وما إن انتهى جلس على المقعد الهزاز يلهث من التعب وهو ينظر إلى كل شيء في حزن شديد.

*****

الفصل الواحد والعشرون

وقف (حسن) مستسلمًا لأفكاره حاملًا بيده كوبًا من (الشاي باللبن) وهومستند على سور بلكونته صباحًا، يتطلع إلى الأشجار حوله، يتأمل تجمعات العصافير وشجارهم، كأنها مسرحية أو إحدى أفلام الكرتون، وبابتسامة جانبية مريحة يعتدل واقفًا ليستنشق بعضًا من الهواء الذي ملأ صدره ثم زفره على مَهل ليدرك للحظة بأن عليه الرحيل، فدخل مسرعًا تاركًا كوب الشاي باللبن على طاولة صغيرة في مواجهة باب البلكونة، وعلى الجانب الآخر وفي إحدى الزوايا من الغرفة صورة لـ (ريم) والتي قام برسمها، وقعت عيناه عليها دون قصد، فاقترب منها يتأملها بنظرات عتاب، ثم أخذ حقيبته الملقاه على سريره ليذهب مسرعًا كأنه يرفض التعمق فيها أكثر من ذلك؛ غاضبًا منها، خائفًا عليها، شعور مشتت جعله يرفض حتى السؤال عنها أو الاطمئنان عليها وكأنه أتقن اللامبالاة جيدًا، بعض من حكايات (زينب) وثرثرتها المتواصلة، قد يُذَكره أحيانًا اسمها أو إحدى المواقف بينهما فيبتسم عندها ابتسامة متكلفة ويصمت لعلها تروي حكاية أخري (ريم) أحد أطرافها، ظل هكذا لوقت وحده يعلم بأنه ليس بالقليل أو بالشيء السهل عليه، لكنه مازال يقاوم عشقها المتغلغل بكيانه.

بداية شهر نوفمبر، وتلك النسمات الباردة التي تنذرنا بقدوم شتاء ديسمبر القارس ليبعث معه دفيء قلوبنا المتألمة أو ربما هو الحنين، فيضرب الجرس النحاسي القديم ذو الكرة المتدلية المترنحة إحدى جوانبه ليصدرهذا الصوت والخاص بالباب الخارجي لمعرض (عم طلعت) لتظهر (ريم) أمامه، عندها ابتسم وترك تلك القطعة النحاسية التي كان يحملها بيده جانبًا وذهب إليها بخطوات بطيئة، لتبادله (ريم) نفس الابتسامة الواسعة رغم محاولتها في إخفاء حزنها إلا أنه ظهرعلى عينيها وابتسامتها المتكلفة بشكل واضح ثم أردفت بحنان قائلة:

- صباح الخير يا راجل يا طيب.
- هو إحنا كده خلاص مش هنشوفك غير كل سنة مرة، صباح الخير يا بنتي.
- معلش ياعم طلعت كنت محتاجة أبعد عن الناس شوية.

استاءت ملامح (عم طلعت) ليسألها في قلق:

- ليه كل ده؟ الحياة يا بنتي أجمل من إنك تعيشيها لوحدك، مهما كانت الدنيا جاية عليكي ومهما كانت الظروف، مينفعش تستخبي، اتعلمي تواجهي.

فتخفض (ريم) رأسها في حزن ثم تنظر إليه وبصوت خافت حزين:

- مش كل حاجة ينفع نواجهها، ساعات بنستخبى علشان مش

حابين حد يشوف ضعفنا ولا انكسارنا، بنبقى محتاجين نداوى نفسنا بنفسنا علشان نقدر نرجع نقف من تاني على رجلنا.

تنهد (عم طلعت) وهو يُربِّت على كتفها بحنان قائلًا:

- مفيش حاجة بتفضل على حالها يا بنتي، بس خليكي متأكدة إنك فعلًا هتقدري تعدي أي محنة تواجهك لوحدك.

تبتسم (ريم) بعد أن لمعت عيناها حزنًا لتسأله في جدية:

- عم طلعت هو أنا ممكن أطلب منك حاجة؟

- اتفضلي يا بنتي أمري.

- عايزة أسافر النوبة.

ليقهقه (عم طلعت) بلطف قائلًا:

- النوبة مرة واحدة، أنا نفسي بقالي سنين مروحتهاش، وعايزة تروحيها ليه؟

- محتاجة أبعد عن هنا شوية.

تنهدت (ريم) بارتياح وبابتسامة لتتابع حديثها قائلة:

- لما كنت في المعهد وكنا بندرس الفن النوبي والألوان والطبيعة اللي غالبة على المكان كنت بسأل نفسي إزاي مكان زي ده ماكونش فيه لحد دلوقتي، وقتها قولت لنفسي أن هيجي يوم وهسافرأعيش هناك في بيت بسيط، أعيش فيه لوحدي بعيد عن الدوشة والزحمة.

استمع (عم طلعت) إليها في اهتمام إلى أن انتهت وكأنها ذَكَّرته بتلك الحياة التي افتقدها بالفعل وسط زحمة العاصمة والعمل الذي أخذه من ذكرياته لتأتي تلك الصغيرة لتذكره بها، فذهب خلف مكتبه في جدية ليفتح الدرج وأخرج سلسلة بها مفتاح قديم بعض الشيء يكسوه الصدأ قليلًا، ثم أمسك يدها في حنان ليضع سلسه المفاتيح في كفيها ليغلق راحتها بإحكام ثم نظر إلى عينيها بجدية قائلًا في جدية:

- المفتاح ده بتاع بيتي هناك في النوبة، خديه ووقت ما تحبي تسافري بلغيني وأنا هخلي اللي يستناكي هناك ويوصلك للبيت ويساعدك إذا احتاجتي للمساعدة.

فتسحب ريم يدها من يد (عم طلعت) في بطء، ثم تفتح كفها لتتفحص المفتاح ثم تغلق عليها راحتيها مجددًا لتضعه في حقيبتها، ثم تنظر إلى (عم طلعت) ليحدثها قائلًا:

- هستنى منك تليفون أول ما تكوني حاجزة.

تهز (ريم) رأسها بالإيجاب ثم تخبره بأن يجب عليها الرحيل الآن ولينتظر منها مكالمة تليفونية قريبًا جدًا.

دخل (حسن) الأتّليه ليجد (ريم) واقفة بجانب (زينب) يتبادلان بعض الأحاديث، توقف لحظة وكأنه يستشير نفسه في الاقتراب أو البقاء

بعيدًا، ثم استجمع نفسه وأخذ قراره سريعًا ليذهب مكانه أمام التابلوه المغطى خاصته دون النظر نحوهما، ثم نزع حقيبته من على كتفه ووضعها جنبًا وأزاح الغطاء عن التابلوه وظل يبعثر في الألوان التي أمامه وكأنه يبحث عن شيء معين حتى وجد ضالته وبدأ في ادماج الألوان على البالتة وغمس فرشاته وبدأ في الرسم دون انتباه لمن حوله، وكأنه أراد أن يخلق شخصية جديدة خالية من المشاعر مليئة باللامبالاة والقسوة، تعجبت (زينب) لرد فعله بينما (ريم) وحدها تعلم ما به وما هو مقدار الألم الذي يشعر به، لكنها فضلت أن تبقى بعيدًا لأنها لا تملك ما تقوله، فاتجهت نحو لوحتها لتبدأ في وضع رتوش لا معنى لها مجرد تضارب ألوان هي فقط من يفهمها ثم تركت الفرشاة التي في يدها جنبًا وهي تزفر بشدة وضيق، فتخفض رأسها لبعض الوقت في شرود ثم تنظر إلى (زينب) لترد بجدية قائلة:

- أنا مسافرة.

فتترك (زينب) الفرشاة التي في يدها في انزعاج وبملامح عابسة تنظر إلى (ريم) بتذمر وبصوت عالٍ بعض الشيء تهاجمها قائلة:

- مسافرة فين، وإزاي يعني مسافرة؟

كان صوتها عاليًا للدرجة التي جعلت (حسن) يسمعها، فتسقط الفرشاة التي في يده غصبًا لينظر إليها قليلًا يتأملها في صدمة وكأنه

يتخيل العالم للحظة حوله بدون (ريم)؛ فانتفض من مكانه في غضبًا مما جعل المقعد يسقط أرضًا فانتبهت (ريم) له ثم نظرت إلى (زينب) لتخبرها بأنه وجب عليها الآن التحدث معه، وأنه الوقت المناسب لهذا فتتركها في صدمتها وتذهب خلف (حسن) في اتجاه البوفيه، لتجده جالسًا على المقعد منكس الرأس في حزن فتقترب أكثر لتقف أمامه قائلة بنبرة خافتة:

- ممكن أتكلم معاك شوية؟

فرفع رأسه في دهشة ثم أشار لها بيده طالبًا منها أن تجلس، فسحبت مقعدًا وجلست أمامه مباشرة، تنحنحت بصوت هادئ ثم أردفت بصوت مذبذب مجهد قائلة:

- أنا مش عارفة أبتدي كلام معاك من فين، بس أعتقد أن ده الوقت المناسب للكلام.

رفع نظره ليُحَدِّق في عينيها بحدة، ودقات قلبه المتسارعة تكاد تفتك به، لكنه في كل الأحوال كان يحاول أن يبدو هادئًا ثم رجع بظهره إلى الوراء على مقعده وهو مُقَطِّب حاجبيه بغضب ليردف بصوت رخيم:

- مفيش داعي لأي كلام علشان مفيش حاجة ليها لازمة ممكن تتقال.

ساد الصمت بينهما لبعض الوقت ثم عضت على شفتيها السفلي

في حزن وأردفت بعتاب قائلة:

- من يوم الحفلة وإحنا متكلمناش، أستنيتك تتكلم أو تتصل لكن لقيتك بعيد ومحاولتش أسألك مالك؟ ولا حاولت أعاتبك وأقولك ليه بتبعد.

فيقاطع حسن حديثها بجدية وعتاب:

- ومحاولتيش تسألي نفسك أنا ليه بتصرف كده؟

فتخفض (ريم) عينيها لتتنهد في حزن، ثم تُقَطِّب جبينها لتستجدي تلك الشجاعة في إكمال حديثها:

- من الأول وأنا عارفة أيه جواك من ناحيتي ومكنش ينفع أقرب ولا كان ينفع أوعدك بحاجة أنا مش قدها.

ثم تنظر إلى عينيه في جدية لتتابع قائلة:

- مش أنت لوحدك اللي بتتألم يا حسن.

اعتدل (حسن) في جلسته ثم أردف بصوت مختنق ليسألها:

- مسافرة ليه يا ريم؟

- محتاجة أبعد.

- هتغيبي كتير؟

- جايز.

- تفتكري ده حل؟

- لو كنت لقيت حل غيره كنت عملته.

- طب وأنا.. أقصد إحنا.. أنا وزينب والأتّليه والرسم.. في حاجات حلوة هنا كتير مع الأسف إنتِ مش عايزه تشوفيها.

- علشان كده لازم أسافر، علشان الحاجات الحلوة اللي قدام عنيا ومش قادرة أشوفها، سافري علاج مش هروب يا حسن، عايزة أرجع إنسانة جديدة، أنسانه قادرة تواجه حزن الدني، أنا بقيت أضعف من ما تتخيل.

- متسافريش من فضلك، وأنا معاكي لحد ما تنسي كل حاجة في يوم وجعتك. بس من فضلك يا ريم خليكي.

أخذت (ريم) نفسًا عميقًا ثم غامت بعينيها لتخبئ لمعة عينيها وتلك الدموع الحبيسة التي ترجوها إطلاق سراحها لتجهش في البكاء، كم تمنت أن مَن يرجوها البقاء هو (منير)، وتلك المقارنة التي واجهتها رغمًا عنها بين حب أحدهم وقسوة الآخر، فتترتعش شفتيها وهي تتابع حديثها قائلة:

- غصب عني يا حسن لازم أسافر، أنا آسفة على كل جرح سببتهولك من غير ما أقصد وآسفة على وجودك في حياتي في وقت غلط،

جايز لو كنت في وقت تاني كنت هبقي أسعد واحدة في الدنيا.

فيقاطعها حسن برجاء:

- للمرة الأخيرة بترجاكي أنك متسافريش.

تتمثل ريم الانشغال والتأخير وهي ينظر إلى ساعتها:

- لازم أمشي يا حسن، ماما مستنياني.

- ريم أنا بحبك.

أسدلت (ريم) أهدابها ببطء وكأن الكلمة أفقدتها كل قواها فانفجرت دموعها الغزيرة لتغرق وجهها فتنظر إلى (حسن) بوهن شديد ترجوه أنا يغفر لها لتتركه غارقًا في أوجاعه وتهرب بضعفها، ثم تتوقف للحظة لتخرج هاتفها وتقوم بالاتصال بـ (عم طلعت) لتخبره بأنها أخذت قرارها بالفعل وستجهز نفسها للسفر خلال يومين فقط.

كان صوتها مرتعشًا، مهزوزًا، خائفًا من المستقبل لكنها رغم ذلك ترغب في استقباله بأيدٍ مفتوحة لتضمه حتى تنغرس بين ضلوعه كي تذوب أملًا في نسيان ما لا يمكن نسيانه.

كان الاعتراف بالحب المباشر شيء وضعها أمام الحقيقة ليأخذها من الافتراضات والممكن، كم تمنت عندها أن تضع يدها على أذنيها صارخة فيه بشدة متوسلة إليه برجاء:

- (أرجوك. توقف. إنني بالفعل قد سئمتُ من العشق وكلمات الحب وتلك الوعود التي تأخذك إلى عنان السماء، وما إن تفقد شغفك تسقطني أرضًا، أصبح هذا مفهوم الحب بالنسبة لي الآن لقد تغيرت؟.. لا.. بل أيقنت بأن للبداية بريق خاص لكنه لن يدوم طويلًا!)

*****

الفصل الثاني والعشرون

بعد محادثة عم طلعت لتخبره بإجراء اللازم استعدادًا لسفرها أيقنت بأن هناك زيارة أخيرة لابد منها، أو هي أهم خطوة تخطوها قبل سفرها.

جلست ريم عاقدة زراعيها أمام صدرها لتزم شفتيها في عبوس طفولي وهى ترمق والدتها التى تتحرك أمامها ذهابًا وإيابًا في غضب لا يخلو من التوبيخ والحدة وعدم الموافقة بقرار ابنتها في السفر.

- = إنتِ بتتكلمي كأنك خلاص أخدتي قرارك خلاص، لكن رأي ماما؟ مش مهم، ومش مهم ماما نفسها.

فتلقي (ريم) بنظرة من خلف والدتها إلى (عمو رؤوف) الذي يظهر جزءً منه فقط وهو جالس واضعًا قدمه فوق الأخرى يحتسي قهوته في هدوء وملامح باردة هادئة جدًا، منتظر دوره في التدخل وكأنه يعلم بأن كلمته الأخيرة هي التي ستحسم الأمر وستلجم زوجته.

فأشارت (ريم) له بعينيها بأنه قد حان الوقت لتدخله ليلقي كلمته، لكنه انتظر عند الانتهاء من آخر رشفة من الفنجان ليضعه على الطاولة بهدوء ورزانة مبالغة وبصوت رخيم وكلمات مرتبة:

- سبيها براحتها، ريم مش صغيرة وهي عارفة مصلحتها فين كويس،

وإذا كان على سفرها النوبة فأنا أعرف ناس كتير هناك هبعت حد يطمنا عليها من وقت للتاني ويشوفها إذا كانت محتاجة حاجة ولا لأ.

- بس يا رؤوف ريم.....

يقطع حديثها قائلًا بحدة:

- ريم قالت لك أنها محتاجة للسفر سبيها وأكيد هترجع من هناك أحسن.

لتستسلم لكليهما رغم اعتراضها إلا أن كلام زوجها طمأنها على ابنتها قليلًا.

في محطة القطار:

وقفت (زينب) بجانب (ريم) والتى جاءت لتودعها، حاولت (زينب) أن ترسم الهدوء والبرود حتى يبدو الأمر لدى (ريم) شيئًا عاديًا إلا أنها كانت تنظر إليها من وقت لآخر بعين دامعة لكنها سُرعان ما تتماسك حتى لا تدخل القلق والحزن إلى قلب (ريم) التى وقفت ترسم الابتسامة على وجهها رغم منظرها الثابت إلا أن عقلها ينهشه القلق والغموض من الأيام القادمة.

وقبل أن تستقل القطار نظرت إلى (زينب) بابتسامة حزينة:

- خلي بالك من نفسك ومن حسن ورقمي الجديد معاكي وأول ما هوصل هكلمك علطول.

وكأن قطعة غالية من قلب (زينب) قد أُنتُزِعت رغم ابتسامتها الواسعة لتخبرها مداعبة إياها:

- خلي بالك أنت من نفسك.

ثم تحرك القطار فجلست (ريم) مكانها وقد أخذت وضع الاستعداد لمواجهة هذا العالم الذي لا تعرف عنه الكثير سوى أنها حتمًا ستكون أفضل حالًا من ذي قبل.

بعد أسبوعين من سفر (ريم) وأثناء خروج (زينب) من الأتّليه، إذ بأحدهم ينادي عليها فانتبهت ثم التفتت لتجد (منير)؛ فنظرت إليه في ذهول وكأنه آخر شخص كانت تتوقع رؤيته هنا، فاقترب منها ليسألها بفضول وقد بدا على ملامحه التوتر والإحراج ليردف قائلًا:

- أنا آسف بس كنت عايز أسألك عن ريم؟

حَدَّجَته بنظرة غاضبة تمنت عندها أن تنهال عليه باللكمات القوية حتى تفقده أسنانه بالكامل، لكنها حاولت التحكم في غضبها وعدم التهور، فتركته دون أن تتفوه بكلمة وذهبت، فاعترض (منير) طريقها ليحدثها بضعف راجيًا:

- من فضلك أنا محتاج أتكلم مع ريم وبقالي كام يوم بدَوَّرعليها في كل مكان ممكن ألاقيها فيه، وآخرما فقدت الأمل جيت أسألك عنها؟

- ريح دماغك ريم سبتلك البلد وسافرت.

شهق (منير) في صدمة، شعر لحظتها بأنه فقدها للأبد، فعاد ليسألها مجددًا وتلك المرة بصوت مهزوم:

- طب ممكن أعرف سافرت فين؟

عقدت (زينب) زراعيها أمام صدرها بعناد لتهاجمه بحدة قائلة:

- المفروض أنك آخر واحد ممكن تسأل هي فين!

- زينب أنا بحب ريم وكنت جاي أعتذر لها عن كل اللي حصل مني.

- ياااه وجاي دلوقتي تقول الكلام ده؟ مفكرتش هي كانت عايشة إزاي الفترة دي، ماتت كام مرة بسبب أنانيتك تفتكر بسهولة كده ممكن ريم تسامحك.

- أنا بترجاكي تقوليلي مكانها فين وأنا هعوضها عن كل اللي عملته فيها، بس أعرف مكانها.

أجابت (زينب) في حزم واقتضاب:

- أنا آسفة يا منير، لازم أسيبك تتعذب زي ما هي كمان اتعذبت.

لتتركه وتذهب دون اكتراث لندمه أو توسلاته لها، قاصدة أن تُذقه طعم العذاب الذي أشبع به صديقتها. وقف (منير) يشتعل غضبًا ثم

مسح بيده وجهه بنفاد صبر ومحاولة منه تخفيف الضغط العصبي المسيطر عليه ليتمتم بحدة وهو يسب نفسه على ما فعله بـ (ريم)، وما لحق بها من أذى بسبب أنانيته، فاستقل سيارته ليحركها بعنف ذاهبًا دون وعي، حتى توقف أمام الكافيه لم يتردد لحظة واحدة، بل ترَجَّل سريعًا وكانه آخر أمل له، لعله يجدها نفسها هناك تنتظره، وعند الاقتراب من الطاولة فَغَر فاهه بصدمة فشهق بسعادة بالغة عندما وجد أوراق الرسم الخاصة بـ (ريم) فمد يده ليلمسها بحنين واشتياق وهو يقلب بين الصفحات متفقدًا صوره المرسومة وبعض من الخربشات مصحوبة ببعض الجُمل ورسائل العتاب، فضمها إلى صدره بشدة حتى كادت الأوراق أن تتمزق، فأيقظه صوت بجانبه:

- الآنسة اللي كانت بتيجي هنا نسيتهم في آخر مرة.

فألتفت (منير) سريعًا إلى مصدر الصوت ليجده النادل وكأنه على علمٍ بما كان بينهما، فسأله (منير) بفضول:

- هي آخر مرة كانت هنا إمتى؟

- من أسبوعين تقريبًا.

اعتصر قبضتة بقوة وقهر متمنيًا أن يجوب الأرض باحثًا عنها، متحدثًا نفسه بعتاب:

- (كانت لآخر لحظة تنتظرني، وكأنها فقدت الأمل في رجوعي، وكيف

لى أن أخبرها أني أحبها وكأن ما حدث كان لابد منه حتى أعرف مدى حبي لها)

نظر إلى النادل طالبًا منه فنجان من القهوة الـ (زيادة) كما كانت تطلبها ليشير برأسه على الأوراق الموجودة على الطاولة فابتسم النادل ليخبره:

- بس الآنسة من وقت ما بقت بتيجي لوحدها كانت بتشربها سادة.

شعر (منير) بغُصَّة في قلبه كادت أن تقتله، ارتشف قهوته الـ (زيادة) وكأنه كان يرغب بجزء منه أنفاسها علَّه يجده في قهوتها المفضلة، مع كل رشفة كان يحبس دموعه بمقلته خِشية أن يرى ضعفه أحدهم.

ليرحل كما كانت قبله (حاملًا بيده الأوراق، محتضنًا رحيق المكان، كثيرٌ من الذكريات، وخَيْبَة أمل في النسيان)

وما إن انفرد بنفسه داخل سيارته نَكَس رأسه على المقود حتى بدأت دموعه تتلألأ على وجنتيه قهرًا.

في اليوم التالي قرر (منير) أن يذهب إلى (زينب) مرة أخرى فهو لا يعرف أحدًا قريبًا من (ريم) غيرها، تَرَجَّل من سيارته عندما رآها خارجة من الأتّليه وما إن رأته زفرت بشدة ثم أكلمت طريقها، فحاول (منير) أن يوقفها فأمسك رسغها بشيء من القوة ليسألها بنبرة متحشرجة:

- من فضلك أنا كل اللي عايزه توصليني لمكان ريم.

لكن (زينب) فركت يدها لتحررها من قبضة يده لتصرخ فيه بغضب:

- أنت أكيد مجنون، سبق وقولتلك لأ، ولو اتكرر وجيت هنا تاني أنا هطلب لك البوليس.

لكن أوقفهما صوت (حسن) فانتبه كلًا منهما إليه فنظر إلى (منير) نظرة ثاقبة وسدد إليه سؤالًا:

- جاي ليه؟

أجاب (منير) متعجبًا:

- مش فاهم تقصد إيه؟ أنت تعرفني؟

ابتسم (حسن) ابتسامة جانبية باردة وبلهجة ساخرة:

- إلَّا أعرفك!!

وقف (منير) في حالة من الدهشة ثم سأله بفضول:

- وأنت مين بقى؟

حسن بجدية:

- أنت مش عايز تعرف مكان ريم؟ أنا هدلك عليه.

شهقت (زينب) بغضب معارضة قرار (حسن) وبعد أن أعطى لـ (منير) عنوان (ريم) في (النوبة) استقل سريعًا سيارته وكأنه ينقذ آخر

نفس فيه.

نظر (حسن) إلى (زينب) في حزن قائلًا:

- مش عايزك تزعلي من اللي عملته، القرار دلوقتي لا قرارك ولا قراري قرار ريم لوحدها، هي اللي تقدر تقرر إذا كانت عايزة تكمل حياتها معاه أو لأ لازم يكون في مواجهة بينهم.

زينب في تعجب:

- غريبة أنك أنت اللي بتقول كده؟.

- أنا احترمت قرار ريم، كان ممكن تكمل حياتها معايا بس هي جواها لسه متعلقه بـ (منير)، يبقى إيه الفرق بينها وبينه دلوقتي هو جرحها من غير ما يقصد وهي كانت هتجرحني من غير ما تقصد، علشان تدخلي في علاقة جديدة لازم ترمي كل حاجة ورا ظهرك علشان مفيش حد يستاهل إن قلبه يوجعه بذنب أنه حب بجد، وريم رفضت تقرب مني علشان خافت تجرحنى لأنها متأكده أنها عمرها ما هتقدر تنسى حبها لـ (منير).

أكمل (حسن) طريقه وحيدًا منتظرًا قرار (ريم) وكأنه على علم بالنهاية لكن هناك بعض الأمل متشبث بقلبه، ربما.

دلفت شمس النوبة إلى المغيب وقفت (ريم) أمام نتيجة ورقية مُعَلَّقة

على الحائط، تأملتها قليلًا ثم مدت يدها لتنزع ورقة الأمس لتجد تاريخ اليوم هو (٢ من ديسمبر) تنهدت في حزن ثم اقتربت من طاولة صغيرة منزوية قد وضعت عليه جهاز (الفونوغراف) خاصتها، والذي أخذته معها مصحوبًا ببعض الأسطوانات، تفحصت (ريم) إحدى الأسطوانات لـ (ليلى مراد) ثم وضعتها في الجهاز وجعلت الإبرة تلمسها برقة، استندت بظهرها على الحائط منتظرةً أن تنساب تلك النغمات وما إن بدأت حتى غامت عينيها وهى تحكم إغلاق الشال على كتفيها جيدًا باحثةً عن دفء قلبها قبل جسدها، ثم بدأت تتمايل وتدندن مع كلمات الأغنية وأثناء تنقلها في المكان كالفراشة تدور حول نفسها بخطوات رشيقة، وما إن وصلت الأغنية إلى كوبليه (أما أنا مهما جرى، هفضل أصون عهد الهوى، وإن غبت يوم ولا سنة هفضل أنا بردو أنا) وقفت للحظة ثم جثت على ركبتيها بانهيار لتشهق شهقات متتالية باكية في حرقة.

لكن هناك طَرْق على الباب قد أخذها من حزنها فكفكفت دموعها وهي تقترب من الباب لتسأل عن هَوِّيَة هذا الزائر ظنًا منها أنه أحد أصدقاء(عمو رؤوف) أو إحدى أقارب (عم طلعت)، لكن عَلَت أنفاسها بشدة عندما سمعت صوت هذا الزائر، إنه صوت تحفظه عن ظهر قلب، فهرولت لفتح الباب سريعًا لتجده هو (منير) وما إن رآها ابتسم في لهفة ثم ابتسمت، ثم فتح ذراعيه بشوْق لكنها لم تشعر إلا وهى تعصر نفسها بين ضلوعه، احتضنها (منير) بشدة حتى كادت أضلعها

أن تتكسر بين يديه، اقترب أكثر كي يعطر أنفاسه بعطرها ثم أسندت (ريم) رأسها على كتفه وهي تشهق باكية، لكنه رفع رأسها في حنو وهو يُحَدِّق في عينيها بشوْق، ثم مسح دموعها بيده راجيًا منها أن تسامحه طالبًا منها بداية جديدة، لتردف بحنان وتسامح قائلة له (اللي بيحب لازم يسامح، وأنا بحبك).

****

(وكيف لى أن أكرهك وأنا في حبك قد ذُبْتُ حتى الثَّمَالة)

تَمّت بحمد الله

سعاد عبداللاه

الكاتبة في سطور

- سعاد محمد عبداللاه.
- من مواليد محافظة السويس، وتقيم حاليًا في محافظة سوهاج.
- بدأت كتابة الأشعار في مرحلة مبكرة، تأثرت بكتابات الكاتب الكبير "محمد عبدالحليم عبدالله"، وتعتبره كاتبها المفضل.
- كانت لها عدة مساهمات في راديو القناة في مجال إلقاء الأشعار، وشاركت بأشعارها في عدة مسابقات وحصلت على جوائز من القناة الرابعة في هذا المجال.
- شاركت في المجموعة القصصية (رمادي اللون) بقصة (لا حديث مع الغرباء)، والصادرة عن كاريزما للنشر والتوزيع.